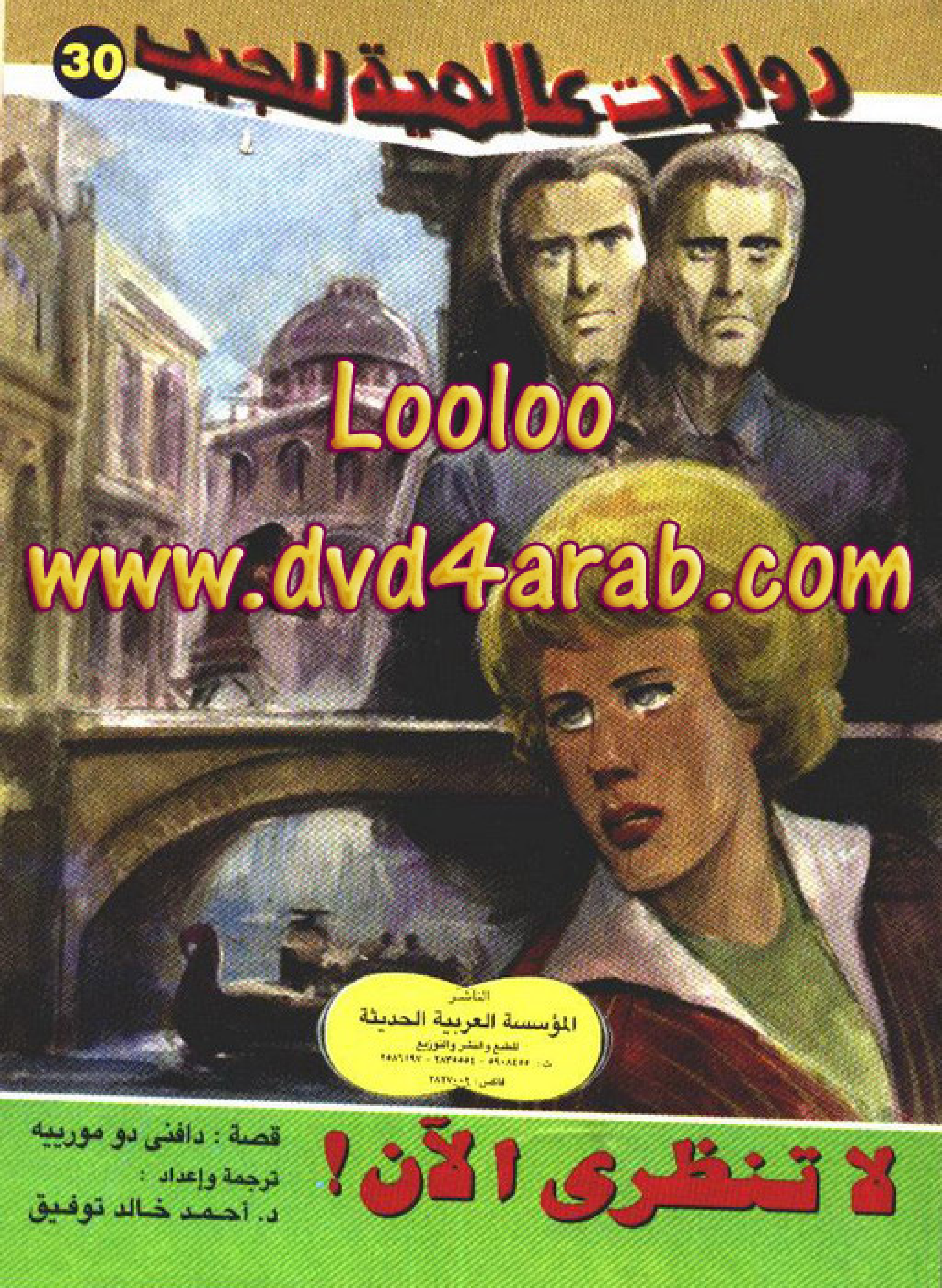

30
روايات عالمية للجيب
Looloo
www.dvd4arab.com
الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
لا تنظرى الآن!
قصة : دافنى دو مورييه
ترجمة وإعداد :
د. أحمد خالد توفيق

روايات عالمية للجيب

سلسلة جديدة ، تقدّم لك أروع ما يزخر به الأدب العالمى ، فى مختلف صنوفه ..

من الألغاز البوليسية إلى الرواية الرومانسية ..

من عالم المغامرات إلى آفاق الخيال ..

من الفروسية إلى دنيا الأساطير ..

ومن الشرق إلى الغرب ..

وإلى الحضارة ..

وإليك ..

د. نبيل فاروق

المؤلف



لما كنا قد وصلنا بسلام ونجاح إلى الكتيب الثلاثين ؛ فقد حان الوقت لنقدم قصة متميزة على سبيل الاحتفال ، وكما فعلنا فى الكتيب العشرين .

(لا تنظرى الآن) مجموعة قصصية ممتعة لكاتبة إنجليزية عظيمة الشهرة ، هى (دافنى دوموريِيه) .. وقد لا يعرف البعض الاسم لكنهم ـ بالتأكيد ـ شاهدوا فيلمى (الطيور) و(ربيكا) عن قصتين شهيرتين لها ، والقصتان قدمهما سيد التشويق (ألفريد هتشكوك) وإن كان ـ باعترافه ـ قد تحرّر كثيرًا جدًّا من النص الأصلى .. فعادته هى أن يقرأ الرواية مرة واحدة فقط ، ثم ينساها تمامًا ، ويشرع فى إخراج الفيلم بطريقته الخاصة !

ولدت (دافنى دوموربيه) فى (لندن) عام ١٩٠٧ ، وتلقت تعليمها فى البيت مع شقيقاتها ، وفى سن الثامنة عشر كتبت أولى مجموعاتها القصصية التى تحمل اسم (شجرة التفاح) ، والتى لم تُنشر إلا عام ١٩٥٢ .

وفى عام ١٩٣٢ تزوجها الميجور جنرال (فردريك براوننج) ، وعاشا فى (كورنوول) حيث رزقا بثلاثة أطفال ..

فى عام ١٩٣٦ قدمت لنا (حانة جامايكا) التى حققت نجاحها الأدبى .. وتحكى عن المهربين فى ساحل (كورنوول) ، وقد كافأ (ألفريد هتشكوك) هذه الرواية بأن أخرجها للسينما عام ١٩٣٩ ..

وجاءت قصة (ربيكا) عام ١٩٣٨ لتتوج شهرتها(*) ..

وفى عام ١٩٤١ قدمت لنا (نُهير فرنشمان) ، وهى رواية شهيرة بدورها ..

(*) كتبت (دافنى) ربع هذه الرواية فى مصر ، حيث كان زوجها ضابطًا هناك ..

يقول النقاد : إن أسلوب (دافنى دومورييه) شديد الميلو دراميـة ، وإنها لم تقدم أعمالاً أدبيةً جادة ، وإنما أعمالاً مسليةً لا أكثر ..

والحق إن (دافنى) قد برهنت عن براعة شديدة ككاتبة غموض وكاتبة تشويق ، خاصة فى قصصها الشهيرة (ابنة عمى راشيل) و(الطيور) و(موعد).. ثم القصة الحالية (لا تنظرى الآن) التى كتبتها عام ١٩٧١ ، وتعكس اهتماماً شديداً بما وراء الطبيعة ..

وقد توفيت (دافنى) عام ١٩٨٩ بعد ما صارت علامة من علامات الأدب الإنجليزى المعاصر ..

★ ★ ★

أهم أعمال (دافني دوموربيه) :

- الروح المحبة (١٩٣١) .
- لن أعود شابًا ثانية (١٩٣٢) .
- حانة جامايكا (١٩٣٦) .
- ربيكا (١٩٣٨) .
- الجبل الجائع (١٩٤٣) .
- جنرال الملك (١٩٤٦) .
- الطفيليات (١٩٤٩) .
- ابنة عمى راشيل (١٩٥١) .
- طيران الصقر (١٩٦٥) .

ومن مجموعات قصصها القصيرة :

- شجرة التفاح (١٩٥٢) .
- هلمى ياريح .. هلم يا طقس (١٩٤٠) .
- قصص مبكرة (١٩٥٩) .
- نقطة الانهيار (١٩٥٩) .
- لا تنظرى الآن (١٩٧١) .
- الموعد (١٩٨١) .

لا تنظرى الآن



- « لا تنظرى الآن »

قالها (جون) لزوجته - « .. لكن هناك فتاتين عجوزين على بعد منضدتين منا ، تحاولان تنويمى مغناطيسيًا .. »

على الفور تظاهرت (لورا) بالتثاؤب ، وميلت رأسها كأنما تفتش فى السماء عن طائرة لا وجود لها ..

- « خلفك بالضبط » - أضاف - « لهذا لا يمكنك الاستدارة حالاً .. سيكون هكذا واضحًا أكثر من اللازم .. »

لعبت (لورا) أقدم لعبة فى العالم ، وأسقطت منشفتها ثم انحنت لتلتقطها ، وأرسلت نظرة خاطفة من فوق كتفها الأيسر وهى تعتدل ثانية .. وعلى الفور بدت عليها أول علامات الهستيريا المكبوتة ، وهمست :

- «ليستا فتاتين بل هما توءمان ذكران متنكران..»

كان صوتها يوحى بنذير نوبة ضحك لا تتحكم فيها ، فصبَّ لها بعض الشراب وقال لها :

- « تظاهرى بأنك تشرقين ، حتى لا تلاحظا

ضحكك » ، أنا الآن أعرف من هما .. إنهما مجرمان . يتنزهان فى أوروبا ويغيران جنسهما فى كل لحظة .. اليوم شقيقتان فى (تورسللو) وغدًا شقيقان فى (فينيسيا) فقط يبدّلان الثياب والجمّتين .. »

ـ « لصا مجوهرات أم قاتلان ؟ »

ـ « آه ! قاتلان حتمًا .. لكننى أتساءل ، ترى هل لاحظانى ؟ »

قاطعهما الساقى إذ جلب القهوة ، ووضع الفاكهة أمام (لورا) مما ساعدها على كتم عاصفة الضحك .. وسألته :

ـ « إننى أتساءل كيف لم نلاحظهما قبل الآن ؟ إنهما طويلتا القامة ، وعسير أن تفشل فى ملاحظتهما .. »

ـ « هذه المجموعة من الأمريكان ، والرجل الملتحى ذو (المونوكل) الذى يبدو كالجواسيس .. لقد كانوا يحجبونهما عنا .. رباه ! ذات الشعر الأبيض ترمقنى ثانيةً ! »

أخرجت (لورا) علبة مساحيقها ، ووضعتها أمام وجهها لتعمل كمرآة كعاكس ..

وقالت :

- « يبدو أنهما تنظران لى لا لك .. لحسن الحظ أننى تركت لآلئى لدى مدير الفندق »

وبالمسحوق لطخت خديها .. ثم قالت :

- « لقد فهمنا خطأ .. إنهما ليستا لصتين .. يبدو لى أنهما ناظرتا مدرسة طيبتان فى إجازة ، وقد ادخرتا كل مليم فى حياتهما كى تزورا (فينيسيا) .. لا بد أنهما جاءتا من مكان يُدعى شيئًا كـ (والاباتجا) فى (أستراليا) ، ولا بد أن اسميهما (تيلى) و(تينى) ..»

قال لنفسه : أخيرًا بدأت تنتصر .. لو استطعت الحفاظ على هذا ، ولو استطعنا أن نتبادل النكات ، ونمارس التخيلات السخيفة بصدد القوم من حولنا ، أو نمضى ما بين متاحف الفنون ؛ عندها سيستقر كل شىء .. وسيلتئم الجرح وتعود الحياة لما كانت عليه .. ستنسى ..

قالت (لورا) :

« أتعلم ؟ كان هذا غداءً طيبًا جدًا ، وقد استمتعت به حقًا .. »

حمدًا للَّه .. حمدًا للَّه .. ثم انحنى للأمام وبصوت هامس متآمر قال :

ـ « إن إحديهما ذاهبة لدورة المياه .. أتظنين أنها ستبدل جمتها هناك ؟ »

ـ « لا تقل شيئًا .. سأتبعها لأرى ما سيحدث .. »

وراحت تزوم فى رضا .. رأى المرأة تنهض قاصدة الحمام ، وكانت لها ملامح نسرية قوية ، طويلة القامة ، تعقص شعرها على الموضة الشائعة فى أيام أمه ، ترتدى قميصًا رجوليًا وربطة عنق وسروالاً من (التويد) ..

كانت هى وأختها توءمين تم نحتهما بنفس القالب ، والفارق الوحيد بينهما هو أن شعر الأخرى أكثر بياضًا ..

نهضت (لورا) لتلحق بالمرأة ، وقالت :

ـ « المهم ألا تضحك حتى لا أضحك بدورى .. تذكر حين أعود ألا تنظر لى حتى لو جئت معها ..»

ـ « خذى الحذر .. فلربما تحمل حقنة مخدرة تفرغها فى جسدك .. »

وانصرفت لاحقة بفريستها ..

جلس وحده يدخن ، ويختلس النظر إلى الأخت الأخرى ..

الحمد لله .. لربما كانت هذه العطلة هى ما تحتاج إليه (لورا) .. لربما قضت على اليأس الذى أحاط بها منذ ماتت طفلتها .. لقد قال له الطبيب :

- « إنها ستقهر الألم.. كلهن يقهرنه بعد حين ..»

قال (جون) :

- « نعم .. لكن الطفلة كانت تعنى كل شىء لديها من البداية .. إن ابننا فى سن المدرسة الآن ويعرف كيف يدبّر أموره .. لكن (لورا) كانت تهيم بها حبًا ..»

- « كلاكما صغير وسيكون لديكما أطفال آخرون »

كلام سهل .. كيف تستبدل بحياة طفل محبوب حلمًا ؟ إن الطفلة القادمة ستكون لها ذاتيتها المختلفة وخصائصها المتفردة .. ستنام فى الفراش الذى كانت (كرستين) تنام فيه ، لكنها لن تكون أبدًا ذلك الملاك الشمعى ذا الشعر الأسود الذى رحل ..

كانت المرأة ترمقه فى ثبات الآن .. نظرة مليئة بالتركيز تخترقه لتشعره بعدم الراحة.. سحقًا للنساء !

فلتنظرى لى شذرًا كما تريدين .. هذه لعبةً يلعبها اثنان .. ونفخ سحابة دخان فى الهواء .

فى النهايةَ لم يستطع تحمل عينيها الزرقاوين ، فأشاح بنظره واستدار يطلب الفاتورة من الساقى .. لكنه ظل يشعر بوخز عينيها فى مؤخرة رأسه ..

نظر إلى ساعته .. لقد تأخرت (لورا) كثيرًا .. عشر دقائق على الأقل ..

ثم سمع صوت خطوات .. هذه التوءمة عائدة إلى المنضدة حيث أختها ، وكانت تقول ما لم يفهمه .. ما هذه اللكنة ؟ أأسكتلندية هى ؟

رآها تمدّ يدها لتساعد أختها على النهوض ، ثم تحركتا عبر الحديقةَ كى تبتعدا عن عينيه ..

جاءت (لورا) أخيرًا بعد ما نفد صبره ، فقال لها :

ـ « حسن .. يجب الاعتراف بأنك أخذتِ وقتك.. »

ثم توقف حين رأى ذلك التعبير على وجهها :

ـ « ماذا هناك ؟ ماذا حدث ؟ »

كانت مصدومةً .. تأرجحت لتجلس إلى المائدة ، فسألها :

ـ « ماذا ؟ هل أنت مريضةً ؟ »

رفعت وجهها ، وتعبير حائر غريب على وجهها :

- « إنه رائع .. أروع شيء يمكن أن يكون .. إنها ليست ميتة بل هى معنا ! لهذا كانتا تحدقان فينا .. كان بوسعهما أن تريا (كرستين) ! »

رباه ! هذا ما كنت أخشاه .. لقد جُنت! ماذا أفعل ؟

افتعل ابتسامة وقال :

- « هيا بنا يا عزيزتى .. أما آن أن نرحل ؟ لقد دفعت الفاتورة ، ويمكننا الآن الذهاب لرؤية الكاتدرائية ، ويمكننا أن نركب (اللنش) إلى (فينيسيا) .. »

لم تكن تصغى لكلامه ، ولم يخترق صوته انبهارها .. قالت :

- « يجب أن أحكى لك .. لقد تبعت العجوز إلى دورة المياه فوجدتها تغسل يديها فى الحوض ، وفجأة استدارت وقالت لى بلهجة سكوتلاندية قوية : لا تكونى تعسة ثانية .. لقد رأت أختى طفلتك الصغيرة ، جالسة بينك وبين زوجك وهى تضحك ! وربتت على رأسى مطمئنة .. آه يا (جون) !

لا تبدُ كهذا ! أقسم أننى لا أختلق ما أقول .. »

كان صوتها الملهوف يجعل قلبه يثب إلى فمه .. يجب أن يهدئها وأن يظهر تصديقه لها ..

- « إننى سعيدة يا (جون) سعيدة .. كنت أموت كمدًا طيلة هذه الأسابيع، لكننى كنت أدارى هذا عنك.. الآن زال الكمد لأننى أعرف أن المرأة محقة .. كم هو رائع من .. لقد نسيت اسمها .. إنها طبيبة متقاعدة جاءت من (إدنبرة) ، أما من رأت (كرستين) فهى كفيفة منذ أعوام .. وكانت تدرس ما فوق الطبيعة ولها قوى نفسية معينة ، لكنها صارت وسيطة حقة حين أصابها العمى .. لقد وصفت (كرستين) بدقة حتى الفستان الأزرق ذى الأكمام الوردية الذى كانت ترتديه فى عيد ميلادها .. »

والتقطت المنديل وتمخطت ، وقالت :

- « هى بخير .. وليس علينا أن نقلق .. »

قال لنفسه : لو كان هذا الشعور يسعدها فلن أرفضه .. لكننى أتمنى لو لم يحدث أساسًا .. إن هناك شيئًا منفرًا فى قراءة الأفكار وتوارد الخواطر، ولا أحد يجد له تفسيرًا ..

سألها متظاهرًا بعدم القلق :

- « أنت لم ترتبى مقابلتهما ثانية .. أليس كذلك ؟

- « ولماذا يا عزيزتى ؟ لم يكن لديهما ما هو أكثر

لتخبرانى به .. ولسوف ترحلان فورًا لتواصلا رؤية العالم .. يا للعزيزتين ! إنهما أى شىء سوى لصتى جواهر أو قاتلتين ! »

ونهضت قائلة :

- « هلم ! ما دمنا فى (تورسيللو) فيجب أن نرى الكاتدرائية .. »

واتجها معًا إلى قرب المرفأ ، حيث كانت المعديَّة تُنزل مجموعة جديدة من السياح ، ومشيا إلى (سانتا ماريا أسونتا) .

راحا يتأملان الكاتدرائية .. يتفحصان النقوش والرسوم على الجدران ، لكنه لم يستطع الاستمتاع خاصة أن الزحام جعل التذوق الفنى مستحيلاً .. ولم يمسَّ قلبه الجمال البالغ الذى رآه .

رفع عينيه نحو الباب ، ففوجئ بالشقيقتين هناك .. كانت العمياء تتمسك بذراع أختها وهى تتبعها .. شعر بشلل كامل يغمره .. هذه هى النهاية .. لا مفرَّ .. لا مستقبل .. شعور غريب غمره وزال سريعًا .. هاتان المجرمتان تمارسان نوعًا غريبًا من الحياة : تجوّلان حول العالم لتشعرا الناس بعدم الراحة ..

شعر بـ (لورا) تجذب كمه :

ـ « أليست جميلة ؟ أليست هادئة ؟ »

ـ « من ؟! »

ـ « الـ (مادونا) فى الصورة .. إن لها سحراً يخترقك .. »

ـ « أ .. أعتقد ذلك لكنى لست متأكدًا .. »

ثم دعاها فى عصبية إلى الابتعاد بحجة شراء بعض البطاقات الفنية .. واقتادها إلى طريق ضيق خارج الكاتدرائية ، فقالت له :

ـ « لا أظن هذا الطريق يؤدى لمكان ما ، وهو موحل كذلك »

فى نفاد صبر جذبها بعيدًا ..

كان يتذكر (كرستين) قبل إصابتها بالالتهاب السحائى المميت .. بالتأكيد كانت ستحب هذا المكان.. ربما كانت ستخلع حذائيها لتركض جوار الماء مصيبة أمها بالهلع ..

غاص قلبه فى قدميه .. وتمنى ألا يرى الأختين ثانية ..

كان (اللنش) الذى أحضرهما من (فينيسيا) ينتظر.. وكل المسافرين قد احتشدوا فيه : الأمريكان والرجل

ذو (المونوكل) .. كل ما يريده الآن هو العودة إلى (فينيسيا) ثانية ..

مضى القارب عبر القنال إلى البحيرة ..

وقالت له (لورا) وهى تريح رأسها إلى صدره :

- «كان يومًا جميلاً بحق ولسوف أذكره ما حييت ..»

ليكن .. ما دام هذا يجعلها سعيدة ..

الآن يريان روعة (فينيسيا) وسماءها البرَّاقة ، وما زال بها الكثير مما ينتظر أن يرياه .. كان فندقهما قريبًا من (جراند كانال) ، وهو فندق مريح .. وابتسم لهما موظف الاستقبال وهو يعطيهما المفتاح..

كانت غرفتهما مريحة بدورها ، لكن لها طابَع كل غرف الفنادق الغريب .. هذه غرفتنا لفترة لكن ليس بعد ذلك .. إذ نعيش فيها سنجلب لها الحياة ، وحين نتركها لن توجد ثانية ، وتغيب فى العدم ..

غادرا الفندق إلى الليل الدافئ الناعم ، والسحر حولهما فى كل صوب ..

- « لنمش حتى تتفتح شهيتنا للعشاء الهائل ! »

- « لكن ليكن رخيصًا .. فقد أنفقنا الكثير اليوم .. »

الجندولات تتراقص على الماء ، والكل يبحث عن المتعة غير ذات الهدف ..

قال لها :

ـ « أين تتناولين العشاء ؟ »

ـ « ثمة مطعم قرب كنيسة (سان زاكاريا) .. دعنا نقصده .. »

مشيا عبر (فوندامنتا ديلا أرسينالى) .. كانت هناك حارتان ، إحداهما لليمين والأخرى لليسار ، وتردد (جون) بصدد الاتجاه الأمثل .. ثم قرر أن يمشيا فى الحارة اليسرى ..

كان ممرًا ضيقًا يطل على البحر .. وهو مكان دافئ فى الصباح ، لكنه فى الليل بدا كئيبًا بائسًا .. النوافذ والأبواب كلها موصدة ، والظلام دامس ، والقوارب المتراصة على المرفأ كأنها التوابيت ..

قالت (لورا) :

ـ « لا أذكر هذا المكان ولا أحبه .. »

ـ « أنا أعرف أين نحن بالضبط .. »

وعبرا جسرًا صغيرًا عندما سمعا صرخة .. جاءت من أحد المنازل لكن أيها ؟ مستحيل أن تعرف ، وهمست (لورا) :

ـ « ما كان هذا ؟ »

- « أحد السكارى .. هلمى .. »

لم تكن صرخة سكير ، بل هى شبيهة بصرخة رجل يتم خنقه ، وسرعان ما تلاشت ، إذ صارت قبضة الخانق أقوى ..

كانت تسبقه فى المشى ، وقد جدّت فى سيرها .. ولاحظ (جون) شيئًا صغيرًا يخرج من بدروم أحد المنازل ثم يثب إلى قارب .. كانت طفلة .. طفلة صغيرة لا تزيد على خمس سنوات ، ترتدى معطفًا قصيرًا فوق تنورتها ، وكبّود يغطى رأسها ..

كانت تثب من قارب لآخر ، كأنها مصممة على الفرار .. وانزلقت فى مرة فاحتبست أنفاسه ثم استردت توازنها .. فى النهاية ركضت فوق درجات منزل على الناحية الأخرى ، واختفت هناك ..

لم تكن (لورا) قدرأت شيئًا من هذا ، وسرّه ذلك .. لربما كان للمشهد - الذى له علاقة أكيدة بالصرخة - أثر مخيف على أعصابها ..

اتجها ببطء عبر الزقاق .. وكان يتظاهر بثقة لا يملكها ..

سألته :

ـ « لا صرخات أخرى .. أليس كذلك ؟ »

ـ « بلى .. كان شخصًا سكيرًا .. »

أخيرًا وصلا إلى جسر آخر .. وقد أدركا أنهما ضلا الطريق حقًا .. هنا لدهشته رأى أناسًا يمشون فى شارع مضىء وصار المشهد مألوفًا ..

قال لها :

ـ « كما قلت : هذه هى (سان زاكاريا) .. لا بد أن مطعمك ليس بعيدًا .. »

وشعر برضًا لأنهما على الأقل سيريان الأضواء المبهجة والناس بعد كل هذا الصمت والظلام .. ورأى لافتة (ريستورانتى) ـ مطعم ـ تضىء من بعيد ..

دخلا المطعم وسط الصخب وصوت الضحك ورائحة البسطرمة .. وكانت قائمة الطعام هائلة مكتوبة بحبر بنفسجى اللون ..

ووقف الساقى ينتظر ما سيطلبان ، وهنا نظر (جون) حوله فرأى التوءمين فى ركن القاعة ! لا بد أنهما وصلتا حالاً لأنهما كانتا تنزعان معطفيهما والساقى يقودهما للمنضدة ..

لا بد أنهما كانتا تتبعانهما .. لماذا اختارتا هذا المطعم من كل (فينيسيا) ؟ مالم تكن (لورا) قد اتفقت معهما عليه .. هناك مطعم صغير قرب كنيسة (سان زاكاريا) .. سنذهب هناك للعشاء ..

كانت (لورا) مشغولة بالقائمة ولم تر الأختين ، لكنها سترفع رأسها فى أية لحظة وتراهما .. بالفعل نظرت عبر القاعة وأطلقت شهقة .. إنها صادقة .. بالتأكيد صادقة ..

- « يا للعجب ! إنهما هنا ! العزيزتان .. لقد رأتانا .. »

ولوحت بيدها مسرورة ، فانحنت التوءمة المبصرة وابتسمت .. وأعلنت (لورا) أنها ستنهض لتحييهما ..

- « بحق السماء ! نحن لم نطلب عشاءنا بعد .. »

- « لن أتأخر أكثر من دقيقة .. »

ونهضت عابرة الغرفة ، وصافحتهما وجذبت مقعدًا خاليًا لتجلس جوارهما .. وراحت تتكلم وتبتسم ..

- « لقد فسدت الأمسية ! »

فكر (جون) فى ضيق .. ماكان يوشك أن يكون ليلة بهيجة قد امتلأ الآن برؤى الأرواح ، و (كرستين)

المتوفاة تقاسمهما المنضدة .. ياله من سخف ! ولو كانت (كرستين) حيةً لكانت فى الفراش منذ ساعات..

كانت (لورا) تصغى ، والأخت المبصرة تتكلم فى جديةٍ .. قال (جون) لنفسه : مخادعتان ! ربما هما رجلان متنكران كما خطر لنا فى (تورسللو) .

وجاء ما طلبه (جون) من طعام عشوائيًا .. كان من المستحيل تمييزه ، وكان غارقًا فى صلصة حمراء ..

ذابت الصلصةَ لتظهر شريحتين كبيرتين مما بدا له كلحم مسلوق متبَل بالثوم.. إلا أن الصلصةَ كانت ذات مذاق سكرى ! وضع الملعقةَ وأزاح الطبق بعيدًا ، وهنا كانت (لورا) قد جاءت ..

جلست ولم تقل شيئًا .. وسرّه هذا ؛ لأن الغثيان كان يمنعه من الإجابة .. راحت تأكل طعامها دون أن تنطق ..

أخيرًا قالت :

ـ « أعرف أنك لن تصدقنى .. إن هذا مفزع إلى حدّ ما .. لقد ذهبت الأختان إلى الكاتدرائية وإن كنا لم نرهما .. وتقول الأخت المبصرة : إن (كرستين)

كانت تحاول الاتصال بنا طيلة الوقت .. تقول : إن خطرًا ينتظرنا لو بقينا فى (فينيسيا) ، وتريد أن نغادر فورًا .. »

فكّر فى غيظ : هذا ما كان ينقصنا .. هاتان الأختان تنويان ترتيب حياتنا كما يتراءى لهما .. قال لها :

- « هاتان الشقيقتان غير متزنتين على الإطلاق .. ويؤسفنى أن أقول هذا ، لكننى وجدت فيك حمقاء حقيقية .. »

- « أنت مخطئ .. إنهما صادقتان .. »

- « ليكن .. لكن هذا لا يكفى لجعلهما متزنتين .. بصراحةً يا عزيزتى أنت قابلت امرأة عجوزًا فى دورة مياه لتخبرك أنها رأت (كرستين) بجوارنا .. ثم تحاول بعد هذا - مزهوة بنجاحها - أن تطردنا من (فينيسيا) »

قالت له :

- « ليكن .. كنت أتوقع هذا منك .. لكن - بصراحةً - لقد رأينا زبدة (فينيسيا) ولم يعد ثمة مكان جديد نراه .. ولو بقينا هنا لظل وجه (كرستين) الحزين يطاردنى ، يتوسل لى كى نرحل .. »

في هدوء مريب قال :

– « حسن .. هذا يسوّى الأمور .. سأذهب إلى موظف الاستقبال وأخبره أننا سنرحل فى الصباح .. »

– « إن (كرستين) قلقة عليك أكثر منى ، والغريب أن الأخت الكفيفة تقول إنك تتمتع بقوى نفسية لا تعرفها .. إنك على صلة بالمجهول وليس أنا .. »

– « ليكن .. إن غريزتى النفسية هذه تدعونى للرحيل الآن .. »

ونادى الساقى كى يدفع الفاتورة ، واختلس نظرة لمائدة الأختين .. كانتا تلتهمان أكوامًا من (السباجيتى) بطريقة غير روحانية بالمرة ..

رطوبة المساء الناعمة التى كانت تغرى بالمشى ؛ قد استحالت الآن إلى مطر صريح .. ورجل أو اثنان يهرعان تحت المظلات .. وقال لنفسه : هذا ما يراه الناس ليلاً .. شوارع خالية ومنازل مغلقة .. أما ما يراه السياح فى صور (فينيسيا) فديكور براق للعرض ..

قال : إن الخبراء على حق .. مدينة (فينيسيا) تغرق ببطء .. وعما قريب تصير تحت قاع البحر ..

يا لها من نهاية ساحرة لأمسية توحى بالأمل !

★ ★ ★

هرعت (لورا) إلى المصعد ، بينما استوقفه موظف استقبال الفندق ليناوله برقية من إنجلترا .. فتحها فوجد أنها من ناظر مدرسة (جونى) الابتدائية ..

« (جونى) تحت الملاحظة للاشتباه فى الزائدة الدودية . فى المستشفى الآن . لا تخف لكن الجراح يرى ضرورة إخبارك »

« تشارلز هيل »

قرأ المكتوب مرتين ثم لحق بـ (لورا) فى المصعد ، وناولها البرقية .

ـ « جاءت هذه إذ كنا بالخارج .. ليست أخبارًا طيبة »

وضغط زر المصعد بينما هى تتلو الكلمات المقلقة .. قالت له :

ـ « حسن .. هذا يسوّى الأمر .. يجب أن نترك (فينيسيا) حالاً .. إن (جونى) هو الذى فى خطر وليس نحن.. كانت (كرستين) تحاول إخبارنا بهذا ..»

★ ★ ★

فى الصباح التالى حزمًا حقائبهما ، وأخبرا إدارة الفندق بنيةِ الرحيل ..

كانت (لورا) مقتنعةً بأن للأختين دورًا فى هذا النذير ، وعلى مائدة الإفطار أخبرها (جون) بخطته : سيركبان سيارتهما التى جاءا بها ، ويستقلان قطار العودة من (ميلانو) إلى (كاليه) فهو مهيأ لحمل السيارات ..

قالت له وقد بدت لها هذه الخطة بطيئة جدًا :

ـ « يمكننا ركوب الطائرة ، على الأقل سنجد مقعدًا شاغرًا لى ، وبهذا يكون أحدنا فى (إنجلترا) الليلة .. »

وطلبت من موظف الاستقبال أن يحجز تذكرة على طائرة منتصف الليل إلى (لندن) ، وتذكرة أخرى على قطار السيارات لزوجها ..

قال لها (جون) :

ـ « لا داعٍ للهلع .. إن أربعًا وعشرين ساعةً لن تصنع كل هذا الفارق » .

كان الهلع على وجهها فعلاً إذ قالت :

ـ « ربما لن تصنعه لك لكنها تصنعه لى .. لقد فقدت طفلة ولن أفقد طفلاً آخر .. »

ـ حسن .. حسن .. »

واقترح عليها أن يطيرا معًا ، ثم ـــ حين تستقر الأمور، يرجع إلى (إيطاليا) ويعود بسيارته للوطن ..

قالت له :

ـ « فكرة سخيفة .. وكيف ننقل كل هذا المتاع إذن ؟ لابد من سيارة لنقله .. كل ما سأحتاج إليه فى الطائرة هو حقيبة صغيرة ، ويمكنك أن ترجع بالسيارة على مهل ومعك كل شىء من متاعنا .. »

صعد لغرفته الملأى بالفوضى ، بينما (لورا) ترتب كل شىء مع موظف الاستقبال .. فجأة دق جرس الهاتف .. كانت هذه (لورا) تتحدث من البهو :

ـ « عزيزتى.. ما كانت الأمور لتكون أفضل .. ثمة طائرة تغادر (فينيسيا) بعد ساعة ، وهناك (لنش) سينقل مجموعة السياح المسافرين من (سان ماركو) خلال عشر دقائق .. هناك من ألغى حجزه على الطائرة ، وبذا سأكون فى (جيتويك) خلال أربع ساعات .. »

ـ « سآتى حالاً .. »

ولحق بها فى البهو .. لم تعد قلقة متوترة بل مفعمة بالتصميم ، كانت فى طريقها ولكم تمنى لو يلحق بها .. ما كان ليطيق البقاء فى (فينيسيا) بعد رحيلها .. ثم الرحلة الرهيبة ليلاً إلى (ميلانو) ، والساعات الفظيعة فى القطار وحده مفعمًا بالقلق ..

كانت الريح تهب بشدة فى ميدان (سان ماركو) ، والناس يتأهبون لركوب اللنش ؛ إذ قال لها :

ـ « يمكنك قضاء الليلة عند (آل هيل) .. وأرجو أن تتصلى بى بمجرد وصولك إلى المستشفى .. »

كان اللنش مكدسًا بالحقائب ، وعليها علامات (يونيون جاك) الخاصة بالبريطانيين .. نظرت للقارب وابتسمت ، وقالت :

ـ « اعتنى بنفسك يا (بعلى) ، واطمئن علىَّ .. »

تعالى نفير الرحيل ، فصعدت (لورا) إلى (اللنش) وراحت تلوح بيدها ومعطفها القرمزى يتطاير وسط المحيطين بها .

ابتعد (اللنش) فراح يرمقها شاعرًا بالحسرة .. ثم استدار عائدًا إلى الفندق .. لقد صارت غرفتهما خاوية

مقبضة الشكل ، خاصة وحاجيات (لورا) فى كل مكان .. ثيابها .. مساحيقها .. أنبوب معجون أسنانها ..

أنهى حزم متاعه وقرر أن يبدأ رحلته فورًا .. سيدفع الفاتورة ..

وراح يرمق الوافدين الجدد للفندق ، الذين يرمقون كل شىء فى انبهار ، ويومهم الشابَ ينتظر من يرتب الخطط له ..

· سيتناول الغداء ثم ينقل متاعه إلى المرآب الذى تنتظر سيارته فيه .. إن (لورا) الآن فى الهواء .. فى طريقها إلى (جونى) .. الآن يمكن للتوءمين أن تستريحا وتنعما بسلام الروح .. لقد تحققت أمنيتهما ..

أنهى الغداء ولم يرغب فى احتساء القهوة ، لأنه راغب فى الرحيل حالاً .. وتساءل : تُرى متى يعود ثانيةً إلى (فينيسيا) ؟ بعد عام ؟ بعد ثلاثة أعوام ؟ ربما لن يعود أبدًا ؟

ركب المعدية التى ستنقله إلى الجانب الآخر من الماء ، ورأى معدية أخرى تتجه بركابها إلى (فينيسيا) .. كلهم سياح سعداء شغوفون برؤية المدينة الجميلة .. وللحظة حمقاء تمنى لو تبادل معهم الأماكن ..

هنـا فوجئ بـ (لـورا) بمعطفهـا القرمزى تقف على المعدية الأخـرى مع الشقيقتين .. بينما الأخت المبصرة تتحدث بحماس مع (لورا) ، و (لورا) تصغى وعلى وجهها نظرة ضيق !

مذهولاً نظـر ، ولم يستطع الصراخ أو التلويح .. مـاذا حدث ؟ لا بد أن هنـاك خطـأ حـدث فـى رحلـة الطائرة ولم تقلع .. لكن ـ فى هـذه الحالة ـ لماذا لـم تهاتفه (لورا) فى الفندق ؟ ولمـاذا جـاءت الأختـان معها ؟ ولماذا يبدو عليها الضيق ؟

ستعود (لـورا) إلى الفندق حاسبة أنها ستجده هناك ، عازمة على العودة بالسيارة معه .. يا للخلط ! كل ما بوسعه هو أن يتصل بـالفندق كى يطلبوا منها انتظاره حتى يعود ليحضرها ..

وصلت المعدية إلـى المرفأ ، فبحث عن هـاتف .. رنين العمـلات المعدنيـة .. اصطيـاد الأرقـام .. فـى النهاية ردّ عليه موظف الاستقبال .. قال له :

ـ « انتظـر .. يبدو أن هنـاك خطـأ مريعًا .. ابـق السيدة عندك حتى أعود .. »

فهم الموظف الأمر.. وقال (جون) لنفسه : حمدًا لله إننى رأيتها قبل أن أرحل .. مرت دقائق وراح يتساءل عن كنه الخطأ الذى حدث فى المطار .. لا جدوى من التخمين .. ستخبره بكل شىء فى الفندق ..

وماذا عن الأختين ؟ فلتذهبا إلى الجحيم .. يمكنه أن يتخيل (لارا) تخبره أن العزيزتين لم تلحقا بالطائرة .. ترى هل يمكننا اصطحابهما إلى (ميلانو) !؟

فجأة وصلت المعدية إلى (فينيسيا) من جديد .. كم هو مثير أن تعود إلى مكان ودعته منذ دقائق .. دخل الفندق متوقعًا أن يجد (لورا) تنتظره ، لكنها لم تكن هناك .. اتجه إلى موظف الاستقبال يسأله :

ـ « ألم تأت زوجتى بعد ؟ »

ـ « نعم يا سيدى .. »

ـ « هل أنت واثق ؟ »

ـ « قطعًا يا سيدى .. فلم أبرح المكان منذ اتصلت بى .. »

ـ « لا أفهم .. لا بد أنها فى (سان ماركو) منذ خمس دقائق .. »

ـ « ربما رحلت (السنيورة) مع صديقتيها إلى فندقهما .. هل تعرف الفندق ؟ »

ـ « للأسف لا .. بل إننى لا أعرف اسميهما .. »
هنا تدخل مدير الفندق ، وقد سمع طرفًا من المحادثة :
ـ « سأقول لك ما يجب عمله : سأتصل بالمطار وأتأكد من أن الرحلة قد أقلعت فعلاً .. وبهذا نصل لمكان ما .. إن الترتيبات تفسد عادة .. »
ـ « لا بأس .. »
وأشعل لفافة تبغ وراح يذرع البهو متوترًا .. يا للخلط ! كان عليها أن تتصل به .. المدير يتكلم فى الهاتف .. يستخدم إيطالية سريعة جدًا لم يفهمها (جون) ، وفى النهاية وضع السماعة قائلاً :
ـ « هذا غامض جدًا يا سيدى .. لقد أقلعت الطائرة فى الموعد ، وعلى قدر ما أراه أعتقد أن (السنيورة) عدلت عن السفر .. »
ـ « ولماذا تعدل ؟ لقد كانت ملهوفة على العودة »
هزّ المدير كتفه :
ـ « أنت تعرف النساء يا سيدى .. »
فكّر (جون) بصوت عال .
ـ « إلا إذا كان لقاء هاتين السيدتين .. »

قال المدير فى تحفظ :

- « ربما ارتكبت خطأ يا سيدى، ولم تكن (السنيورة) هى من رأيت .. »

قال (جون) :

- « لا .. هى زوجتى .. أؤكد لك .. ترتدى معطفًا قرمزيًا وبلا قبعة كما فارقتها بالضبط ، ويمكننى أن أقسم على أننى رأيتها هى فى أية محكمة تطلب شهادتى .. »

وانشغل موظف الاستقبال ببعض الضيوف الجدد ، فسأل المدير (جون) :

- « هل ترى أن نتصل بفندق (تورسيللو) علّهم يعرفون السيدتين ؟ »

- « لا أرى فكرة أفضل .. »

ومرّت دقائق من المحادثة الهاتفية ، ثم قال المدير :

- « إن مدير فندق (تورسيللو) يذكرهما جيدًا .. لكنه يقول إنهما جاءتا للغداء فقط ولا يعرف اسميهما .. »

- « هذه هى النهاية إذن .. لا شىء بيدنا سوى الانتظار .. »

وأشعل لفافة تبغه الثالثة ، وراح يذرع البهو متوقعًا أن يرى معطف (لورا) الأحمر فى أية لحظة .. من المؤكد الآن أن السيدتين أقنعتا (لورا) برؤية روحية ما .. ربما بمشهد الطائرة تسقط .. إنها الرابعة والنصف عصرًا الآن والشمس لم تعد تغمر الماء ..

قرر أن يبحث عنها فى (بياتزا سان ماركو) ، وأخبر الموظف بنواياه فى حالة عودة (لورا) وهو بالخارج ..

قال الموظف :

ـ « طبعًا يا سيدى سأخبرها .. لا بد أن هذا يثير قلقك يا سيدى .. هل أحجز لك غرفة لهذه الليلة ؟ »

هزَّ (جون) يده بلا حيلة :

ـ « أعتقد ذلك .. »

وغادر الباب ليمشى فى (بياتزا سان ماركو) باحثًا عن معطف (لورا) القرمزى أو التوءمين .. غاص وسط زحام المتفرجين والمشترين .. لماذا لم تلحق (لورا) بالرحلة ؟ كل ما بقى له هو أن يبحث عن الأختين بين مئات الفنادق والبنسيونات المبعثرة فى (فينيسيا) ..

لا بد أنهما قرب كنيسة (سان زاكاريا) حيث قابلهما أمس ، فما كانت العمياء لتبتعد كثيرًا عن الفندق .

اتجه إلى هناك وقد بدت له الفكرة منطقية ..

مشى فى الشوارع حائرًا .. وبدأ قلقه يتحول إلى هلع .. لقد ظفرت المرأتان بـ (لورا) وأخذتاها إلى الفندق أو أى مكان آخر ..

توقف أمام مبنى شامخ كتبت عليه عبارة (كويستورا) ـ الشرطة ـ « هذا هو ما أريد .. سأدخل .. »

كان المكان نشطًا مزدحمًا برجال شرطة يدخلون ويخرجون.. سأل شرطيًا عن ضابط يتكلم الإنجليزية ، فأشار له إلى درجات سلم ..

صعد بضع درجات حيث وجد مكتبًا مغلقًا ، ورجلاً وامرأة يجلسان على دكة خشبية خارج المكتب .. كان الرجل إنجليزيًا ، قال له :

ـ « تعال واجلس .. إن لنا هنا نصف ساعة ننتظر .. ما كان هذا ليحدث فى وطننا .. »

أشعل لفافة تبغ ، وسأل الرجل عن مشكلته .. فقال هذا :

- «زوجتى سُرقت حقيبتها فى متجر بـ (مارسيليا) .. أقول إن السارق نشال عادى، لكن زوجتى مصرة على أنها الفتاة البائعة .. كل الإيطاليين لصوص .. لكنى متأكد من أننا لن نجد الحقيبة .. وماذا عنك ؟ »

قال (جون) كاذبًا :

- « حقيبة .. بعض الأوراق المهمة .. »

كيف يقول إنه فقد زوجته ؟ لا يستطيع مجرد البدء بالكلام ..

هزَّ الرجل رأسه وقال :

- « الإيطاليون يتشابهون .. فقط (موسولينى) العجوز كان يعرف كيف يتعامل معهم .. هناك شيوعيون كثيرون هنا هذه الأيام .. لكن الشرطة لا وقت لديها لمشاكلنا الآن خاصة مع ذلك القاتل .. »

- « قاتل ؟ أى قاتل ؟ »

- « لا تقل إنك لم تسمع عنه .. إن (فينيسيا) كلها تتحدث عنه .. لقد وجدوا امرأة سائحة مذبوحة الأسبوع الماضى .. ثم وجدوا رجلاً عجوزًا بالجرح ذاته صباح اليوم .. يقولون إن القاتل مجنون ؛ لأنه لا دافع هناك .. ثمة أشياء قذرة تحدث فى (فينيسيا) فى موسم السياحة .. »

انفتح الباب وبرز الضابط ؛ فدعا الزوج وزوجته للدخول ..

وحده بقى (جون) فأشعل لفافة تبغ .. وتملكه شعور غريب بأن هذا كله غير حقيقى .. ماذا يفعل هنا وما جدواه ؟ لن يجدوا (لورا) لقد اختفت للأبد مع هاتين الشيطانتين ..

ربما السفاح الذى يفتش عنه البوليس هو الشقيقتان..

هذه بالفعل هى بداية (البارانويا) .. هكذا يفقد الناس عقولهم .. ونظر لساعته .. إنها السادسة والنصف ..

الشىء الوحيد العاقل الذى يمكن عمله هو أن يتصل بمدرسة (جونى) فى إنجلترا ليعرف الأخبار .. (جونى) المسكين ! لقد نساه تمامًا منذ سافرت (لورا) ..

انفتح الباب الداخلى ، وخرج الزوجان .. وقال الزوج :

ـ « نفس الشىء : سيفعلون ما بوسعهم .. يوجد أجانب كثيرون فى (فينيسيا) وكلهم لصوص .. أما الإيطاليون ففوق المساءلة .. »

وابتسما له ثم رحلا .. وجاء دوره ..

دخل إلى المكتب لتبدأ الرسميات : الاسم ـ العنوان ـ جواز السفر .. ثم السؤال .. وبدأ العرق يطفر على جبينه وراح يحكى كل شىء .. حين انتهى كان مرهقًا كأنما يعانى إنفلونزا شديدة ..

سأله الضابط الذى كان يتكلم إنجليزية ممتازة :

ـ « تقول إن زوجتك كانت تعانى صدمة عاطفية .. هل لاحظت هذا هنا ؟ »

ـ « نعم .. ولم تتحسن إلا حين قابلت الأختين .. »

ـ « ألم تتشاجرا قط ؟ »

ـ « نعم .. كنا على اتفاق تام .. »

هزّ الضابط رأسه وقال :

ـ « ربما أصيبت زوجتك بنوبة حادة من فقدان الذاكرة ، فلم تتذكر إلا المرأتين حين رأتهما .. أنت وصفتهما بدقة ولا أعتقد أن العثور عليهما عسير .. عليك بالعودة إلى الفندق بانتظار الأنباء .. »

نهض (جون) وغمغم فى حيرة :

ـ « أنا آسف لشغل وقتكم ، برغم انشغالكم بذلك القاتل الطليق .. »

كان يريد أن يعرف الضابط ، إنه يربط ما بين اختفاء (لورا) وجرائم القتل الجارية حاليًا .. قال الأخير وهو ينهض :

ـ « آه .. ذلك القاتل .. أتمنى أن نقبض عليه حالاً .. »

كانت لهجته مطمئنة واثقة .. كل شىء تحت السيطرة بما فيه القتلة والزوجات المفقودات والحقائب الضائعة ..

وانطلق (جون) إلى الشارع ..

★ ★ ★

لم يعد بوسعه عمل شىء ..

كل ما يريده الآن هو أن يستريح فوق فراشه ، ويتصل بالمستشفى فى إنجلترا ليعرف ما حدث لابنه ..

حجرته كانت فى الطابق الرابع من الفندق .. جرداء ، عارية ، متواضعة ، تملؤها روائح الطهو ..

طوَّح بحذائيه ومعطفه على مقعد ، وارتمى على الفراش ..

رفع سماعة الهاتف وطلب الاتصال بـ (إنجلترا) ، وأغلق عينيه .. مرت الدقائق ثم سمع الجرس .. قال لنفسه : استعد للكارثة .. لا بد أن (جونى) يموت الآن أو مات فعلاً ، وعندها لا يبقى لك أحد ..

بعد قليل سمع صوت مسز (هيل) ، ويبدو أنها من البداية كانت تعرف من يتكلم .. قالت له :

ـ « هاللو .. لقد أجريت الجراحة لـ (جونى) بنجاح .. وقد أتمها الجرَّاح ببراعة عند الظهر ، ولم يعد داع للقلق .. »

صاح فى لهفة :

ـ « شكرًا لله ! »

ـ « لقد استرحنا جميعًا .. يمكنك الآن الكلام مع زوجتك ! »

جلس فى الفراش مذهولاً .. ماذا تعنيه ؟ هنا سمع صوت (لورا) الهادئ :

ـ « حبيبى .. هل أنت هناك ؟ »

لم يستطع الإجابة .. شعر بيده مبللة بالعرق حول السماعة ، وهى تقول :

ـ « كان جراحًا بارعًا ، وأنا سعيدة لما تم .. وكانت رحلتى طيبة .. لقد وصلت إلى المستشفى بعد انتهاء الجراحة .. كان (جونى) مرهقًا لكنه سُرَّ لرؤيتى .. كيف كانت رحلتك إلى (ميلانو) ؟ »

لم يستطع أن يعرف صوته الذى أجاب :

ـ « لست فى (ميلانو) .. أنا فى (فينيسيا) ! »

ـ « (فينيسيا) ؟ لماذا ؟ ألم يدر محرك السيارة ؟ »

ـ « لا أستطيع الشرح .. كان خلط غبى هو السبب .. »

وشعر بالدموع فى عينيه .. ولم يستطع الاسترسال ..

ببطء قال :

ـ « ظننت أننى رأيتك فى المعدية مع هاتين الأختين ! »

ساد الصمت .. ثم آثرت عدم التعليق وسألته :

ـ « ماذا تنوى عمله ؟ »

ـ سأرحل غدًا بالقطار إلى (ميلانو) .. شكرًا للَّه لأن (جونى) تحسن .. أشكرى آل (هيل) وقبلى (جونى) .. »

ـ « اعتن بنفسك إذن ، وقُد السيارة بحذر .. »

وأنهت المكالمة ..

كان شعور الارتياح الذى غمره يفوق الوصف ، أقرب إلى الدوار .. ومع هذا شعور بأن كل هذا غير حقيقى .. كأن ما سمعه لم يكن صوتها وهى ما زالت مختبئة فى (فينيسيا) ..

لقد رآها بالفعل فى المعدية .. كانت (لورا) لا امرأة تشبهها .. فما التفسير ؟ ولماذا ؟ التفسير الوحيد هو أنه هلوس قليلاً .. إنه بحاجة إلى تحليل نفسى كما احتاج (جونى) إلى جرَّاح ..

المشكلة الآن هى الاعتذار للشرطة ومدير الفندق.. اعتذارات كثيرة فى كل مكان بسبب تحميل الأعباء على كل شخص ..

لكن الكابوس قد ولَّى وصار وراءه .. يمكنه التهام عشاء شهى والنوم ..

* * *

نزل إلى البهو ليجد رجل شرطة واقفًا مع موظف الاستقبال ، فما إن رآه المدير حتى صاح :

ـ « إيكولو ! إن الأشياء تتحرك يا سيدى ! لقد وجدوا السيدتين ، وقد اصطحبهما رجال الشرطة إلى

(الكويستورا) ، ولسوف يصحبك هذا المساعد إلى المخفر .. »

احمرّ وجه (جون) ، وفى حياء قال :

ـ « لقد سببت متاعب للكثيرين .. لكنى وجدت زوجتى فى (لندن) .. »

بدت الحيرة على وجه المدير ، وتساءل :

ـ « (السنيورة) فى (لندن) ؟ إذن من رآه (السنيور) فى المعدية ؟ »

ـ « خطأ شنيع من جانبى .. أنا آسف .. »

راح المدير يعتذر لرجل الشرطة .. فقال (جون) :

ـ « اسمع .. أرجو أن تبلغ الأجنتى ـ المساعد ـ أننى سآتى معه إلى (الكويستورا) لأعتذر للشرطة وللسيدتين »

بدت الراحة على وجه المدير ، وقال :

ـ « لقد تضايقت السيدتان ، ولسوف يسرهما هذا .. »

لا يجب أن تسمع (لورا) عن هذا .. فلسوف تشعر بالخجل ..

وانطلق مع المساعد إلى قسم الشرطة ، واتجه إلى المكتب الذى زاره منذ ساعات ..

ولم يكن من رآه هو الضابط الأول بل آخر له وجه شاحب ، والأختان جالستان أمامه فى ضيق وتوتر .

قال موجهًا كلامه لهما :

ـ « لا أدرى كيف أعتذر .. خطأ شنيع منى ولا تثريب على الشرطة .. »

قالت الأخت المبصرة :

ـ « حقًا لا نفهم .. لقد قابلنا زوجتك على العشاء أمس ولم نرها من حينها ، ثم جاء البوليس إلى البنسيون حيث نقيم ؛ ليخبرنا أنك قدمت شكوى ضدنا .. »

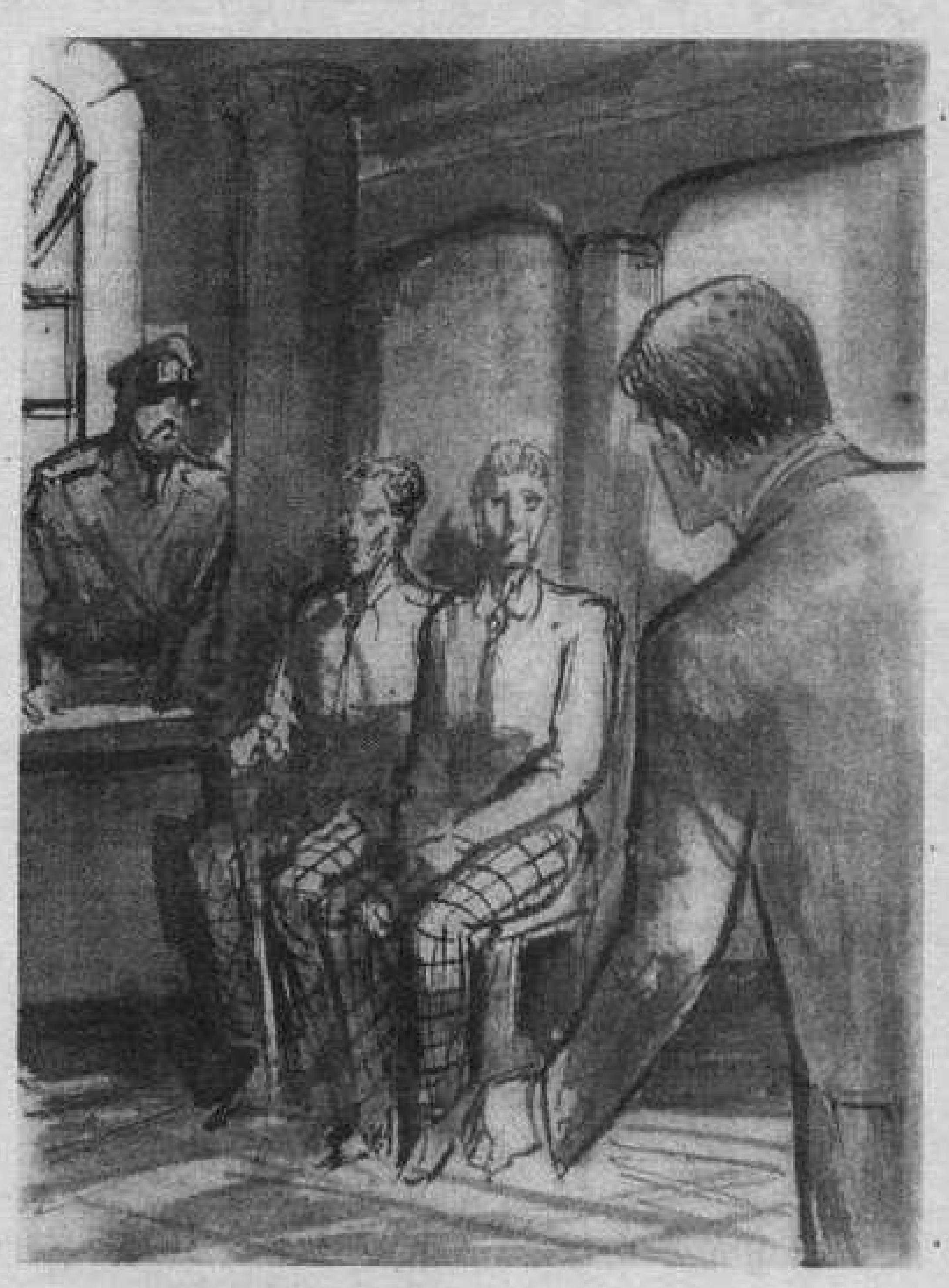
تكلم الضابط بإنجليزية رديئة جدًا بالنسبة لسابقه :

ـ « حسن .. هذا تقرير ملىء بالكذب إذن ، وتزعم أنها الحقيقة ؟ »

ـ « كنت أحسبها الحقيقة وقتها .. »

ـ « إذن من رأيت فى المعدية ؟ »

ـ « عينان تخدعان أنا »



ولم يكن من رآه هو الضابط الأول بل آخر له وجه شاحب ،
والأختان جالستان أمامه فى ضيق وتوتر ..

قالها وقد بدأت إنجليزيته تفسد بدورها ليجارى الرجل :

ـ « أنا أعتقد أننى أرى الزوجة والسيدتين .. لكن لا .. الزوجة فى الطائرة والسيدتان فى البنسيون »

ـ « كل هذا مجهود بلا طائل ؟ تفتيش فتشنا .. فنادق بنسيونات من أجل (سنيورينا) .. بينما لدينا عمل كثير جدًا جدًا .. هل تريد السيدة تقديم شكوى ضده ؟ »

أجابت الأخت المبصرة :

ـ « لا .. لا .. نريد العودة للفندق فقط .. »

وجه كلامه لـ (جون) :

ـ « أنت رجل محظوظ .. لو قدمنا شكوى ضدك لصار الموضوع خطيرًا .. »

وقالت الأخت :

ـ « لا نريد .. لقد كان خطأ كما نرى ، ونتمنى عدم إضاعة وقتك أكثر .. »

أمر الضابط أحد المعاونين كى يوصل الأختين إلى البنسيون ، وتمنى لهما ليلة طيبة وتجاهل (جون) تمامًا ..

قال (جون) وهو يلحق بهما :
ـ « سآتى معكما لأكمل اعتذارى .. »
وغادروا المخفر ..
قالت له الأخت الكفيفة :
ـ « أنت رأيتنا حقًا .. لكن ليس اليوم .. رأيتنا فى المستقبل ! »
كان صوتها أكثر رقة من صوت أختها ..
ـ « حقًا لا أفهم .. »
واستدار للمبصرة كى يفهم ، فوضعت إصبعها على شفتيها وقطبت ، وهمست :
ـ « إنها تملك طاقة روحية هائلة .. لكنى لا أريدها أن تدخل فى سِنَةَ هنا فى الشارع .. »
وتحركوا ببطء عبر الشارع قاصدين جسرين .. وشعر (جون) أنه يضلّ طريقه ، لكن لا مشكلة .. إن مساعد الشرطة معهم على كل حال ..
راح يحكى القصة بالتفصيل للأختين ، حتى وصلوا إلى مبنى عليه لافتة (بنسيون) .. فوقفوا ..
ـ « هذا هو ؟ »
ـ « نعم .. إنه نظيف مريح .. »

وللمساعد قالت (جراتسى تانتو) لتصرفه ، فهزَ رأسه وتمنى لهما ليلة طيبة واختفى .. ولـ (جون) قالت :

ـ « هلاّ تفضلت ؟ سنقدم لك بعض الشاى »

ـ « لا شكرًا .. أردت فقط أن أتأكد من أنكما تفهمان .. »

ـ « لا مشكلة .. ولسوف نبقى هنا عشرة أيام أخرى لو أردت الاتصال بنا .. »

ـ « هذا هو عنوانى فى (لندن) .. أراهن أن (لورا) تتمنى أن تسمع عنكما .. »

وعلى ورقة من مفكرته شخبط عنوانه مع رقم الهاتف .. وراح يتخيل (لورا) تخبره ذات ليلة أن العزيزتين ستمران بـ (لندن) فى طريقهما إلى (أسكتلندا) وخير ما يمكن عمله استضافتهما فى الغرفة الخالية .. ثم تدور جلسة تحضير أرواح فى غرفة الجلوس !

نظر للأخت العمياء فوجد عينيها غير المبصرتين تزيغان .. أمسكت بيده فجأة بقوة ولم تتركها .. وصاحت :

ـ « الطفلة ! أستطيع أن أرى الطفلة ! »

ثم ـ لحيرته ـ تدلت الرغاوى من جانبى فمها ، وسقط رأسها للوراء .. صاحت أختها بسرعة :

ـ « يجب أن أدخلها ! كل شىء على ما يرام .. هى ليست مريضة .. إنها بداية السِنَة .. »

حملها بين ذراعيه ، ونقلها إلى الداخل .. جاءت امرأة من غرفة داخلية كى تعاونه على إرقادها على فراش ..

كانت أصوات كمن يشرق تخرج من حلق الأخت ، ولم يجد ما يفعله سوى أن ينصرف .. فمن الواضح أن المرأتين لا تريدانه هنا ..

خرج من البنسيون إلى الميدان المظلم ، ونظر للوراء .. يا لها من أمسية ! إن الأخت المسكينة لم تتخلص بعد من آثار قسم الشرطة .. لقد أصابتها نوبة صرعية من المرعب أن تحدث فى داره .. ودعا الله ألا تزوراه أبدًا فى (لندن) ..

ولكن أين هو ؟ إن الشوارع مظلمة ملأى بالمنحنيات ، رأى لافتة فى ضوء مصباح ، فأجهد عينيه ليقرأها : سان جيوفانى ـ براجورا ! ..

لقد كان هنا مع (لورا) ذات صباح .. إنه قريب جدًا إذن من بحيرة (سان ماركو) و (ريفا ديجلى) .. هل يقوده هذا الزقاق إلى هناك ؟ لا .. لا يبدو سليمًا .. لكنه يبدو مألوفًا ..

هنا تذكر أن هذا هو الزقاق الذى كان يمشى فيه مع (لورا) أمس .. لكنهما دخلاه من الطرف الآخر ، ومعنى هذا أن بوسعه عبور الجسر ليجد (أرسينال) على يساره ، و (ريفا ديجلى) على يمينه ..

مشى فى الزقاق .. وفجأة رأى الطفلة الصغيرة ذاتها التى رآها أمس تركض بين القوارب .. كانت تجرى وكأن حياتها تعتمد على ذلك .

كان هناك من يتبعها .. يتبعها ويتوارى وراء الجدران كى لا تراه ..

تذكر الصرخة التى سمعها أمس .. وسرعان ما ربط بين رعب الطفلة والمطارد وأخبار قاتل (فينيسيا) ..

قالت له غريزته أن يهرب فورًا عبر الزقاق ، لكن ماذا عن الطفلة ؟ ما مصيرها ؟ »

رآها تفرّ إلى باب مفتوح في منزل ، وهي تطلق صرخةً لا كصرخة طفل خائف ، بل صرخةً ألجمها الذعر .. تُرى هل من حامٍ لها في المنزل ؟

تتبع خطواتها نحو الباب .. إنها على ما يرام .. اطمئني يا طفلتي فلن أتركه يؤذيك .. جرى ليراها تركض داخل المنزل المظلم ، وصوت خطوات من يقتفي أثرها .. وثمة كلب ينبح ..

نحن الآن معًا .. أنا وأنتِ ..

أغلق الباب وراءه ، ولحسن الحظ كان هناك مزلاج أحكم غلقه بدوره .. هكذا يمكنه أن يصرخ من إحدى النوافذ حتى يأتي أحد ، وقبل أن يتمكن الرجل من فتح الباب ..

قال لها لاهثًا :

- « أنتِ على ما يرام .. أنتِ على ما يرام ! »

سقط الكبّود من فوق رأس الطفلة .. فنظر لها غير مصدق ، وسرعان ما تحول عدم تصديقه إلى رعب ..

ليست طفلةً ، بل هي قزم مرعب ، طوله ثلاثة أقدام ، له رأس عملاق بالنسبة لجسده .. وكان يكشر في وجهه ويهزّ رأسه لأسفل وأعلى ..

سمع الخطوات تدنو من الباب ، وسمع طرقات ومن يصيح :

ـ « افتح ! بوليس ! »

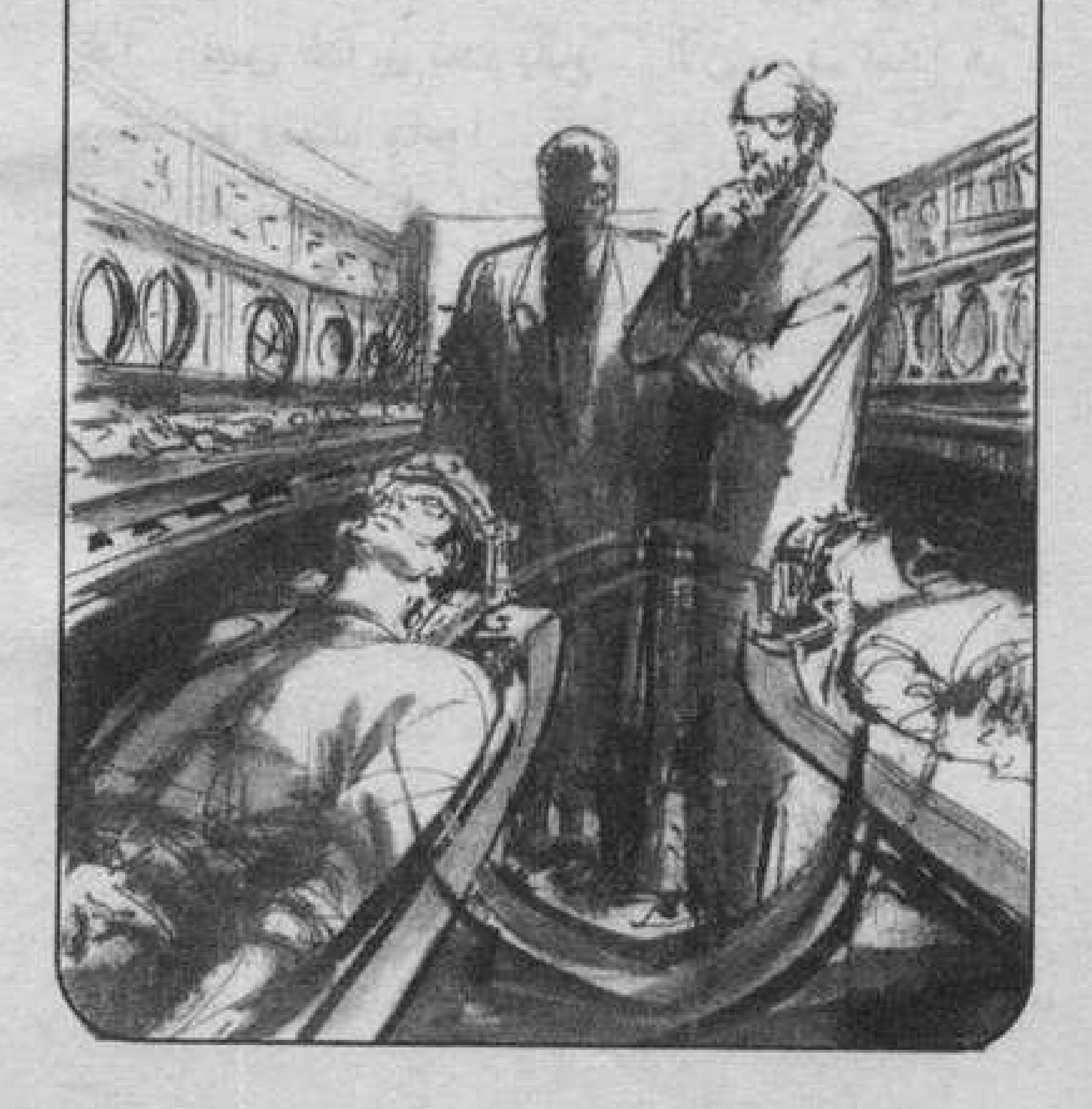
هنا مدّت يدها إلى كمها وانتزعت مدية .. وبقوة هائلة غرستها فى حلقه .. تأرجح وسقط والدم يكسو يديه .. الآن يرى المعدية وعليها (لورا) تعبر (الجراند كانال) ومعها الأختان .. ليس اليوم بل غدًا .. ليس غدًا بل بعده بأيام .. الآن يعرف لماذا هم جميعًا معًا ولماذا جاءوا ..

كان المخلوق ينظر له ، والأصوات تزداد خفوتًا ..

يا لى من أحمق .. ويا لها من طريقة غريبة للموت ....

* * *

الاختراق



بدأ دورى فى الموضوع فى ١٨ سبتمبر ، حين استدعانى رئيسى بالعمل ، وقال لى : إنه سينقلنى للعمل فى (ساكسمير) بالساحل الشرقى ..

كان آسفًا ـ كما قال ـ لكننى الوحيد الذى يملك مؤهلات فنية صالحة للعمل الذى يجرى هناك .. لا لم يخبرنى بتفاصيل .. فقط عرفت أن هناك مجموعة غريبة من القوم تواروا وراء الأسلاك الشائكة ، وكان المكان محطة رادار تجريبية منذ أعوام لكنها مهجورة الآن ، والتجربة التى تدور هناك شىء مختلف تمامًا .. شىء يتعلق بالذبذبات وطبقات الصوت ..

قال رئيسى وهو ينزع عويناته ذات الإطار العاجى، ويلوح بها معتذرًا :

ـ « سأكون صريحًا معك بشدة .. لقد كان (جيمس ماكلين) صديقًا حميمًا لى فى (كمبردج) ثم افترق طريقانا ، وكرس حياته للعمل التجريبى الغامض .. وفقدت الحكومة بسببه الكثير من المال ، كما أنه أضاع سمعته كذلك .. لكنه الآن مستقر فى (ساكسمير) مع فريق من الخبراء ومنحة حكومية ، وهو خبير فى الهندسة الإلكترونية .. وقد أرسل

لى إشارة استغاثةً يطلب فيها منى شابًا لا يتكلم ..
ولسوف تسدى لى خدمةً خاصةً لو ذهبت .. »

أما وقد وضع الأمر كهذا ، لم يعد لدىَ سوى القبول .. وإن كان آخر ما أريده فى العالم هو أن أترك شركة (أسوشيتد إلكترونيكس لمتد) - AEL - بتسهيلاتها البحثية ، لأسافر إلى الساحل الشرقى لأعمل مع رجل مجنون ..

- « ومتى تريدنى أن أذهب ؟ »

- « بأسرع ما يمكن .. ربما بعد غد ؟ آسف يا (ساوندرز) .. ستعود بشىء من الحظ قبل رأس السنة .. هذا ليس نقلاً دائمًا بل هو إعارة .. فأنت مهم هنا .. »

كان هذا أكثر ما أحتمل .. سألته :

- « أى نوع من الرجال هو ؟ »

- « إننى أعتبره متحمسًا .. طراز الرجال الذين لا يتخلون عن شىء ، وهو مجنون بطريقته ، ولن يثير مللك أبدًا .. لقد تزوج ثم جاءت المأساة .. لقد ماتت زوجته بعدها بعام .. »

لم يطـل الأمـر حتى حزمت حـاجيـاتى ، واسـتقللت القطـار ..

عنـدها أدركت حقيقــة موقفى : أنا فى مهمــة لا أرغبها ، ذاهب لوظيفة لا أعرف شيئًا عنها ، وهى خدمة شخصية لرئيسى فى العمل ..

قـال زمـلائى فى العمـل حيـن عـرفوا بذهـابى لـ (ساكسمير) :

ـ « هذه نكتـة .. هؤلاء القوم لـم يمارسوا بحثًـا جديًا منذ أعوام ، والوزارة تتمنى لو ينسفوا أنفسهم إلى أشلاء .. »

ونصحونى باصطحاب مضارب الجولف وكتبًا كثيرة معى ، فـ (ماكلين) لا يملك مؤسسة علمية هنـاك .. فقط لديه بعض الشباب الذين يعتبرونه نبيًا .. ولو لـم ترق له فلن يطلب منك عملاً على الإطلاق ..

وكان المطر يهطل حين نزلت إلى الرصيف الخالى العاصف ..

جاءت سيارة (موريس) عتيقة لتقف أمام المحطـة ، وخرج سائقها ليقول لى وهو يتناول حقائبى :

ـ « أنت (ساوندرز) .. أعتقد هذا .. »

كان شابًا لا يتجاوز التاسعة عشر .. قلت له :

ـ « أنا هو .. كنت أتساءل عن كيفية العثـور على سيارة أجرة .. »

ـ « لن تجد فى ليلـة مطيرة كهذه .. إن الوافديـن يأخـذون كـل ما يمشى على عجــلات ليأخـذهـم إلـى (ثورنوول) .. هلم اركب .. »

كنت قد نسيت أن (ثورنوول) هى قاعدة طيران أمريكية ، وأزمعت أن أتجنبها فيما بعد .. فالأمريكـان جنس لا يروق لى بحال ..

قال لى وهـو يقود السيارة وصوت قعقعـة يتعالـى منها :

ـ « معذرة فلم أجد وقتًا لأصلحها .. اسـمى (كيـن رايان) ويمكنك أن تدعونى (كين) .. »

لم أقل شيئًا .. فاسمى الأول هو (ستيفن) لكن أحدًا لم يجرؤ على اختصاره إلى (ستيف) قط .. كان الطريـق ممتدًا بين حقول اللفت وبيوت (ثورنوول) تـتراءى من بعيد .. والمطبات كثيرة جعلت رأسـى يصطدم بالسقف مرارًا .. وعلى الجانبين كانت المستنقعات الكثيفة ، ومن بعيد رأيت برجًا عاليًا أمـام صـفحة السماء ، وإذا دنونـا لمحت ، الرادار .. هذه هى (ساكسمير) .. لم يسـتطع تشاؤمى أن يتخيل مكانًا أكثر قبحًا من هذا ..

قال وقد أحس بافتقارى للحماس :

- « يبدو المشهد كئيبًا فى هذه الإضاءة ، لكن هذا بسبب الأمطار .. الجو غالبًا جميل ، ولكم من شروق شمس ممتع ها هنا ! »

وفهم ضحكتى الساخرة على أنها ضحكة مشجعة ، فقال :

- « إن الطيور هنا ساحرة لو كنت ممن يراقبونها .. »

وتوقف بسيارته عند بوابة من السلك الشائك ، ونزل ليفك جنزيرًا ما .. كانت المنطقة كلها محاطة بهذا السلك على ارتفاع عشرة أقدام ، كأن هذا معتقل نازى ..

وظهر كلب إلزاسى دنا منا ، وراح يهزّ ذيله ، فقلت :

- « أين المدفع الرشاش ؟ »

ضحك الفتى ، وقال :

- « لا مدافع .. إن (سيربيروس) رقيق كحمل .. »

وعبرنا البوابة ، فلم يبد الكلب اهتمامًا بنا .. وفجأة راح يركض نحو البرج ..

ـ « سيصل إلى المنزل قبلنا .. »

كان المطر قد توقف ، وامتلأت السماء بأشلاء السحب ، بينما وقف البرج وحده أمام السماء النحاسية ..

اتجهنا يسارًا نحو الرادار حيث المدخل الرئيسى .. وتوقفت السيارة فحملت حقائبى .. وسألت (كين) :

ـ « أين غرف النوم ؟ »

ـ « نحن نفعل كل شىء هنا : ننام .. نأكل .. نلهو .. نعمل .. »

وسبقنى إلى ممر يتفرع يمينًا ويسارًا ، وسألنى :

ـ « ربما تحب أن ترى غرفتك وتأخذ حمامًا .. »

واقتادنى إلى غرفة بها فراش ، وفتح الستائر .. إن من سمى هذه (غرفة) لا بد أنه كان يعمل فى مستشفى .. بها كل شىء مهم : إناء الغسيل .. الفراش .. المقعد جوار الفراش ، والملاءات مطوية بأسلوب المستشفيات .. العسكرية منها بالذات ..

رأيته يتجه إلى الممر بالخارج فتبعته .. فى الخارج كانت هناك أرائك ومدفأة كهربية وبار صغير .. وسألنى :

ـ « قهوة أم شيكولاته ؟ أم لعلك تفضل عصير البرتقال ؟ »

واضح أن هذا البار لا يحوى الكحوليات .. صبّ لى بعض العصير فى كوب وناوله لى .. سألته وأنا أسمع صوت كرات بنج - بونج من مكان ما :

- « أين يقيم العاملون هنا ؟ »

- « لا يوجد عاملون .. لا يوجد هنا سوى (ماك) و (جانوس) و(روبى) وأنا .. والآن أنت بالطبع .. نحن مجموعة سعيدة .. »

لم أشك فى هذا .. عصير برتقال ، وطيور ، وشموس ممتعة ، وبنج - بونج .. ولكم وددت لو أجرح كبرياء هذا الشاب ، لذا سألته :

- « وما هو وضعك هنا ؟ »

ضحك ، وملأ كوبًا من العصير وقال :

- « أنا خنزير (غينيا) الخاص بـ (ماك)(★) .. مثلى مثل ابنة (جانوس) والكلب (سيربيروس) .. »

هنا انفتح الباب ، ودلف رجلان إلى الغرفة ..

★ ★ ★

(★) خنزير غينيا : حيوان ثديى صغير ، أقرب إلى الأرنب ، يستعمل بكثرة فى التجارب الطبية .

بالسليقة عرفت (ماكلين) .. كان طويلاً فى الخمسين من عمره ، وله عينان زرقاوان باهتتان أراهما دومًا في السكارى والقتلة والطيارين الحربيين .. إن للثلاثة شيئًا مشتركًا فى ذهنى .. ذقنه وأنفه بارزتان ، ويرتدى كنزة لها رقبة سلحفاة ..

أما مرافقه فكان شابًا ناحلاً ذا عوينات ، له مظهر صبي فى الكشافة ، ولم تزده بقعتا العرق تحت إبطيه جمالاً ..

مدّ (ماكلين) يده لى ، وابتسامة الترحيب توحى بأننى صرت بالفعل واحدًا من مجموعته الصغيرة :

ـ « سعيد بأن أراك .. إنها أمسية كئيبة بالنسبة لأول قدوم لك إلى (ساكسمير) لكننا سنفعل الكثير غدًا .. أليس كذا يا (روبى) ؟ »

ووضع ذراعه على كتفى :

ـ « سمعنا عنك أشياء عظيمة من AEL .. عصير برتقال للجميع يا (كين) .. يجب أن أقول إننى مسرور بقدومك ، وأرجو أن تسمح لى بأن أناديك (ستيف) بدلاً من (ستيفن) ؟!

حاولت أن أبتسم لكن ابتسامتى تحولت لتقطيبة ..

صافحنى (روبى) صبى الكشافة بدوره ، وقال :

- « أنا مسئول المشروع هنا ، وأقوم بكل شىء من تفجير الغازات إلى قياس حرارة (كين) .. لو احتجت إلى شىء قل لى .. »

وأدركت أن هذا الصوت الغريب المضحك هو صوته ، وليس وليد اللحظة ..

كانت هناك مائدة معدة لأربعة ، وثمة شخص يقف بانتظارنا ، له شعر لزج متلاصق .. قدمه لى (ماك) قائلاً :

- « هذا هو (جانوس) ، وهو يتأكد من أن أحدنا لن يموت جوعًا .. »

وجلسنا إلى المائدة .. مدَ (جانوس) يده إلى سلطانية كبيرة يتصاعد منها البخار ، ووضع فى طبقى عجينة لها لون الزعفران ، والغريب أنها كانت جيدة المذاق .. استغرق الطعام خمسين دقيقة ، بعدها صرت على استعداد لأن أعقد سلامًا مع زملائى ..

كانت محادثات (كين) هى سلسلة من النكات مع (روبى) ، بينما (ماك) لا يكف عن الحديث عن خبراته فى تسلق الجبال بـ (كريت) .. وكان هو أول من نهض ، وقال :

ـ « أتمنى لكم ليلة سعيدة .. لا تقرءوا لوقت متأخر .. ستنطفئ الأنوار فى التاسعة مساءً ! »

غادرت المائدة لاحقًا بـ (ماك) .. فرأيته يتجه إلى باب مجاور فباب آخر ، ثم شعرت بالهواء البارد لما بدا لى كنصف معمل ونصف عيادة .. بل إنه يحوى منضدة جراحية تحت ضوء ، وآلات متراصة ..

قال (ماكلين) :

ـ « هذا هو الجزء الخاص بـ (روبى) ، ويمكنه عمل كل شىء هنا ، من تربية فيروس إلى استئصال لوزتيك .. »

ثم دخل إلى غرفة ثالثة ملاصقة .. رأيت أننا فى قسم الإلكترونيات .. بدا لى هذا كجهاز حاسب آلى عملت فيه من قبل .. حاسب آلى قابل للمحادثة إلا أن عباراته محدودة ، والصوت المنبعث منه غير آدمى بالمرّة ..

قال (ماكلين) وهو يقدّم الجهاز لى كأب فخور يقدّم ابنه للضيوف :

ـ « جميل .. أليس كذلك ؟ إننا نسميه (شارون ـ 1) .. »

من المعتاد أن نطلق أسماء تدليل على اختراعاتنا ، وقد أطلقنا على اختراعنا القديم في AEL اسم (هرمز) ، وهو الرسول ذو الأجنحة بين البشر والأولمب .. أما (شارون) فهو - على ما أذكر - اسم المعدّاوى الذى ينقل أرواح الموتى عبر ضفاف نهر (ستيكس) .. يا لها من روح دعابة !

سألته فى حذر :

- « ما هو دوره ؟ »

- « إن له وظائف عدّة .. لكن ما يعنيك هنا هو آليات الصوت .. »

وجرّبه لى فوجدت أنهم حققوا نتائج أفضل بكثير مما حققناه فى AEL .. لقد كان الصوت واضحًا تمامًا ، ولم يعد مترددًا بتاتًا ..

قال لى :

- «نحن نستعمل (شارون - 1) للتنويم المغناطيسى .. وهو يوجه عبارات للشخص المطلوب تنويمه ، وتبعًا للإجابة يختار أسئلة أخرى .. ما رأيك ؟ »

- « هذا رائع .. لقد سبقتم أى عالم آخر بأميال .. ويدهشنى أننا لن نستطيع تطويره فى AEL خيرًا من هذا .. »

ثم تحرّك (ماكلين) إلى جهاز آخر وقال :

ـ « هـذا هو ما يهم الـوزارة .. أنـتَ تعـرف أن الطائرة إذ تخرق حاجز الصوت تهشم زجاج النوافـذ ، لكنها لا تهشم زجاج نـافذة بعينـه .. هـذا هو العسير فى الموضوع ، لكن (شارون ـ 2) يستطيع هذا .. »

ووضع كأسًا زجاجيًا على المنضدة ، وشغل الجهاز .. فارتجَ الزجاج وتناثر إلى أشلاء ..

ـ « لطيـف .. أليس كذلك ؟ يمكنك إيذاء أهـداف بعينها عن بعد ، ولسوف يجد الجيش ما يهمه فى هذا ، لكنى مهتم أساسًا بدراسة الاستجابة عالية التردد بيـن الأشخاص والحيوانات .. »

وضغط زرًا آخر فى اللوحة ، وقال :

ـ « لن تسمع شيئًا من هذه .. إنهـا النغمـة فوق الصوتيـة المتحكمـة فـى (سـيربيروس) ، ولسـوف يكون خارج الغرفة حالا .. »

وانتظر بضع دقائق .. بعدها سمعنا صوت مخـالب الكلب على الباب البعيد .. ونظر إلى ساعته وقال :

ـ « التاسـعة والربـع .. تـرى هـل تغفر لنـا مسز (جانوس) ما سنفعله ؟ »

سألته :

- « ماذا ستفعل ؟ »

- «سأوقظ ابنتها الصغيرة ، وأجلبها إلى الهاتف .. »

وضغط زرًا آخر ..

بعد دقائق دق جرس الهاتف ، فتناول السماعة ليقول :

- « هالو .. أنا آسف يا مسز (جانوس) إن كنت أيقظتها .. هى مجرّد تجربة .. نعم .. أعيديها إلى الفراش .. آلو يا (نيكى) .. لا شىء يثير القلق ، فعودى للفراش الآن .. »

ووضع السماعة ، وقال لى :

- « إن الأطفال مثل الكلاب سهل تدريبهم .. أو - بشكل آخر - حاستهم السادسة التى تلتقط هذه الإشارات متطورة جدًا .. لقد التقطت (نيكى) تلك الإشارات بسهولة تامة ، خاصة أنها تعانى تخلفًا عقليًا يجعلها مناسبة جدًا لهذا الغرض .. »

وربَت على الصندوق الإلكترونى ، ونظر لى وابتسم :

- « هل من أسئلة ؟ »

ـ « طبعًا .. السؤال الأول : ما جدوى تدريب الأطفال والكلاب ؟ »

وقلت لنفسى : لو كان هذا هو نوع التجارب الجارية هنا ، فلا عجب فى أن الوزارة أهملت تمويل هذا المكان ، واعتبرته جنة المخابيل ..

قال لى شاردًا :

ـ « إن (شارون ـ 2) يرسل الإشارات بالضبط لمن نختاره ، لكن هذا ليس الغرض منه .. إننى أحاول البحث عن شىء أكبر من هذا .. ولكن دعنا نترك (شارون ـ 1) و (شارون ـ 2) وحدهما هذه الليلة ، ولنستنشق بعض الهواء .. »

مشيت معه إلى الباب .. إلى الخارج حيث صار الهواء نظيفًا باردًا ، والسماء ملأى بالنجوم ، ومن بعيد ـ خلف كثبان الرمل ـ سمعت هدير الأمواج ..

سألنى :

ـ « هل لديك فكرة عن الـ (بولتر جايشت) ؟ »

ـ « الأشباح التى تدق ليلاً ؟ بالطبع لا .. »

ـ « ما رأيته الآن من زجاج يتهشم إلى أجزاء ليس سوى المبدأ ذاته : قوى كهربية تتحرّر .. كانت

لـدى مسـز (جانوس) مشـاكل مع تهشـم الأطبـاق قبل أن أخترع (شـارون) .. وكانت هـذه (نيكى) بالطبع .. »

ـ « ماذا ؟ »

ـ « نعم » ـ وراح يذرع المكان جيئةً وذهابًا ويداه فى جيبه ـ « .. كانت الطـاقة الروحيـة لـدى الطفلـة قويـةً متفجرة ، بسبب عقلها المتخلف .. ثم كونهـا التوءمـة الوحيـدة الحيَّة مـن توءمين ؛ جعل الطاقـة مضاعفة .. »

كـان هـذا أكبـر ممـا أستطيع ابتلاعه فضحكت .. قال لى :

ـ « هنـاك مئات مـن هـذه الأشـياء التى يسمونها (نشاطًا حركيًّا) ، وفى كل مرة كان هناك طفل ذكاؤه أدنى مـن الطبيعى ، وهذا يقنعنـى أن بداخـل كـل منـا جـزءًا مـن هــذه الطـاقة الغامضـة .. يمكننـى أن أسميها (القـوة السادسـة) .. إنهـا تعمـل كـذات الموجات التى يطلقها (شارون) ، وتفسر كل الألغـاز النفسيـة .. ولمـا كـانت الطفلـة متخلفـة عقليًـا كـانت سيطرتها غير الواعية على تلك القوى أقل .. »

إن اللّه (سبحانه وتعالى) يعرف أن الحياة معقدة بما يكفى ، كى لا نقضى وقتنا فى البحث عن طاقات غامضة داخل الإنسان ، بهذه التجارب العجيبة ..

قالت لـ (ماك) :

- « حسن .. ستسيطر علىَ تلك القوى .. لكن ألن يزيد هذا من متاعبنا بما لا يقاس ؟ »

- « سيجد الإنسان الطريقة المثلى لاستغلال (القوة السادسة) فى وقت ملائم .. وهدفى هو اختزان هذه الطاقة بعد ما يموت الجسد ! »

نظرت له مذهولاً غير مصدق .. إنه مجنون تماماً ..

قال لى وهو يرمق النجوم :

- « فكر فى هذا : كل البشر يملكون تلك الطاقة ، وهى تموت معهم إذ يموتون .. أية خسارة عبر القرون ! الطاقة الحيوية التى لا يحكمها شىء وتوجد فى كل مكان .. »

لا بد أن هذا الهراء النظرى قد ولد بعد وفاة زوجته .. قلت له :

- « تحتاج إلى عمر كامل كى تبرهن على نظريتك .. »

- « لا .. أحتاج إلى شهرين لا أكثر .. لقد فرغت من اختراع (شارون - 3) الذى لم تره بعد ، وبه وحدة تختزن تلك الطاقة .. ونحن مستعدون للتجربة حين يعمل (شارون - 1) و (شارون - 2) ، لكنى بحاجة إلى مساعد متعاون مثلك .. لقد رفض من سبقك العمل معنا لأسباب شخصية أفهمها .. لم يستطع أن يبتلع نظرياتى قط .. »

ومشينا عائدين نحو محطة الرادار المعطلة ، حيث ساد الظلام تمامًا ..

تذكرت (كين) فى البار يصب لنفسه عصير البرتقال ، ويعتبر نفسه خنزير (غينيا) ..

سألته :

- « ما دور (كين) فى هذا ؟ »

صمت قليلاً .. ثم قال :

- « الفتى مصاب بسرطان الدم .. (روبى) يقول إنه لن يعيش أكثر من ثلاثة أشهر .. لكن الفتى شجاع ويثق بالتجربة .. ولو فشلت المحاولة فلن يخسر شيئًا فهو ميت على كل حال .. أما لو نجحنا ...... »

★ ★ ★

أشرقت الشمس فى الصباح التالى .. نهضت من النوم لأرمق الطريق الأسفلتى ، وقررت أن أرحل ..

حلقت ذقنى واستحممت ، واتجهت إلى الإفطار عازمًا على أن أنفرد بـ (ماكلين) ..

سأركب أول قطار ، وببعض الحظ أكون فى (لندن) فى الواحدة بعد الظهر ..

لم يكن على المائدة سوى (روبى) الذى كان ينقضّ على طبق ملىء بالرنجة .. جلست أمامه أتناول إفطارى ، وبحثت عن جريدة فلم أجد .. هكذا صرت مرغمًا على المحادثة ..

كان منهمكًا فى تشريح الرنجة بدقة خبير ، وفجأة سألنى :

ـ « هل انتويت الرحيل ؟ »

أثار هذا ذهولى ، ولم أحب أسلوبه .. قلت له :

ـ « إننى مهندس إلكترونيات ، ولست شغوفًا بطاقات الإنسان الخفية .. »

ـ « وكذا زمـلاء (لستر) لم يكـونوا شغوفين بالمطهـرات .. فأى حمقى جعـلوا من أنفسـهم بعـد ذلك ؟! »(*)

وابتلع نصف سمكة الرنجة .. فقلت له :

ـ « اسـمع .. أنا منبهـر بـ (شـارون ـ 1) .. لكنى لا أعـرف نفعـًا لـ (شـارون ـ 2) .. أمـا (شـارون ـ 3) فلـو سمعت به الـوزارة ، لانتهى بنا الأمر فى مستشفى المجاذيب .. »

لم يكن الإفطـار وجبتى المفضـلة ، وكان ما رأيتـه كفيلا بإفقادى أية شـهية .. لذا سررت إذ ظهـر وجـه (كين) فى النافذة يقول لى :

ـ « مرحبًا .. لو لـم تكن مشـغولاً يمكنـك المجىء معى لنزور أكـواخ حرس الشاطئ .. إن الجـو جميـل اليوم .. هل أنت فى اللعبة ؟ »

كان الإغراء شديدًا ، فصوت قرمشـة (التوسـت) فى فم (روبى) لا يحتمل ..

(*) (لستر) جراح بريطانى عظيم ، كـان هـو أول من أدخـل أساليب التعقيم الحديثة فى الجراحة ، وذلك فى عصـر كـان الأطبـاء فيه يغسلون أيديهم بعد الجراحة لا قبلها !

وسألته :

- « أين أجد (ماكلين) ؟ »

- « فى غرفة التحكم .. »

كان يجب عمل هذا فوراً ، لذا هرعت إلى المعمل حيث كان (ماك) واقفاً جوار (شارون - 1) ، فما إن رآنى حتى قال لى :

- « ثمة خطأ ما لا أدرى إن كان بوسعك إصلاحه .. »

كنت قد جئت لأعتذر وأصارحه بنية الانفصال عن فريقه ، لكنى لم أفعل ..

جلست أمام الحاسب الآلى .. إن الفضول القاتل والكبرياء المهنية والغيرة الشخصية كلها كانت ذات تأثير قوى علىّ .. وذبت فى عالم الحاسب (شارون - 1) ، وبهرنى جماله وكفاءته .. وربحنى (ماكلين) من لحظتها ..

وفى النهاية وجدت العطل وأصلحته ، وسرعان ما تحول (ماكلين) إلى (ماك) ، ولم يعد تصغير اسمى إلى (ستيف) مما يضايقنى ..

لقد صرت واحداً من الفريق ..

وفى العصر تنزهت مع (كين) بإذن من (ماك) ..

كان من العسير أن أصدق دنو الموت من هذا الشاب الجامح .. ربما كان (ماك) و (روبى) على خطأ .. والحمد للّه أن هذه ليست مشكلتى ..

مشيت مع (كين) وهو يثرثر ويضحك ، بينما (سيربيوس) يتريض عند أقدامنا ويلتقط العصىَ التى رحنا نرميها له ..

فجأة تصلب الكلب ، ثم انطلق عائدًا من حيث جئنا .. لقد تلقى رسالة من (شارون) .. كان رحيله المفاجئ غريبًا ، ونحن على بعد ثلاثة أميال من (ماك) .. توجهنا يسارًا متجهين إلى القمة .. وكانت هناك مجموعة من أكواخ حرس الشاطئ ، قال لى (كين) :

ـ « تعال نحىّ المسز (جانوس) ..

تبعته مترددًا .. فأنا أمقت أن أزور أحدًا دون إعداد ..

كانت الحديقة غير مُعتنى بها ، وفتاة صغيرة تقف جوار باب الكوخ .. شعرها الأسود يحيط بوجهها الضامر ، وعيناها بلا بريق ..



فجأة تصلب الكلب ، ثم انطلق عائداً من حيث جئنا ..
لقد تلقى رسالة من (شارون) ..

- « مرحبًا (نيكى) .. »
أشارت إلىَ وتساءلت :
- « من هذا ؟ »
- « اسمه (ستيف) »
- « أنا لا أحب حذاءه .. »
قالتها فى مشاكسةَ ، ثم حاولت أن تعتلى ظهره .. بينما هو ينادى مسز (جانوس) ..
جاءت امرأة سمراء لها وجه ينبض بالرعب ، حيّتنا ودعتنا للدخول ..
فى الداخل أحضرت برّاد شاى لنا وكوبين .. بينما الطفلة تلهو مع (كين) ولا تكف عن النظر إلى حذائى ..
كانت هناك صورة للطفلة فوق المدفأة .. وكانت أجمل بكثير من صاحبتها ..
هنا تصلبت الطفلة فجأة كأنها فى نوبة ، ثم هتفت :
- « (ماك) يريدنى ! »
شعرت بالغثيان إذ خرجت الطفلة لتتصل بـ (ماك) هاتفيًا .. وسألت الأم وأنا أشير إلى الصورة :

- « صورة جميلة .. »

لدهشتى امتلأت عيناها بالدموع ، وقالت :

- « هذه ليست (نيكى) .. هذه (بنى) أختها .. لقد فقدناها فى سن خمس سنوات .. »

هنا عادت الطفلة لتعلن :

- « (ماك) يريد أن تعود أنت و(كين) الآن .. »

وهكذا غادرنا الكوخ شاكرين للمرأة حسن ضيافتها ..

ومن المستنقع جوارنا شممنا رائحة العطن ، بينما الهواء يزداد سرعة ، ومن بعيد جثم البرج فوق الأفق كوحش ..

★ ★ ★

فى الأيام التالية طورنا نظامًا للحاسب الآلى ، يرسل الأصوات حسب برنامج دقيق .. وكان عملى هو تحسين دقة الصوت ، بينما البرمجة مسئولية (ماك) ..

وفى يوم الجمعة أعلن (ماك) أن (شارون - 3) صار جاهزًا ..

ذهبت إلى المعمل ، بينما جلس (كين) على

منضدة الجراحة ، وكان ثمة مكبر صوت فوق رأسه يقود إلى (شارون ـ 1) ، وثمة ضوء أصفر بمعنى (استعد) ..

تغير الضوء للأحمر ، فأغمض (كين) عينيه ، ثم جاء صوت (شارون) :

ـ « هنا (شارون) يتكلم .. هنا (شارون) يتكلم .. هل أنت بخير ؟ »

أجاب (كين) بصوت مسطح خال من الحيوية :

ـ « أنا بخير .. »

كان قد نام مغناطيسيًا الآن ، وتمدد على المنضدة ، والأسئلة التى كان البرنامج يوجهها له غير عشوائية بل مرتبة بدقة ، كما اتضح لى ..

سأله (شارون) :

ـ « هل هناك ما يثير ضيقك ؟ »

ـ « إنه الانتظار .. أريد أن ينتهى الأمر سريعًا .. ولا أعبأ بشىء بعدها .. »

واستمر الاستجواب ، لكن كان أكثر ما قاله (كين) مؤلمًا ، ولست راغبًا فى تكراره هاهنا .. فقد اعترف بآلامه ومخاوفه ، التى لم يصارح بها حتى نفسه قبل هذه اللحظة ..

ثم جاء الصوت يقول له : .

ـ « أنت على ما يُرام ولست وحدك .. والآن انهض يا (كين) ..

فتح (كين) عينيه ونظر حوله ، ثم تساءل :

ـ « أقام (شارون) العزيز بعمله على ما يُرام ؟ »

قلت له بصوت مبحوح وأنا كاذب :

ـ « مائة بالمائة .. »

قال لى (ماك) بينما أنا أفك الأسلاك :

ـ « شكرًا يا (ستيف) .. يمكنك الآن فهم احتياجنا لآلة بلا مشاعر شخصية لتجرى الاستجواب ، ولهذا وجد (شارون) .. لكن كانت التجربة لتكون أفضل لو كانت الطفلة معه .. »

ـ « الطفلة ؟! »

ـ « نعم .. هى مهمة جدًا ، وبدورها تنام مغناطيسيًا ، وتبدأ فى الثرثرة كصراصير الحقل معه دون تدخل من (شارون) .. وحين يفيقان لا يذكران شيئًا مما حدث .. إن (كين) فى النهاية سيدخل فى غيبوبة ، وستكون (نيكى) الصغيرة هى وسيلة الاتصال الوحيدة به عندئذ .. »

ومشيت وحيدًا إلى البحر الرمادى الثائر ، شاعرًا بحيرةٍ لا تنتهى ..

وفى الأيام التاليةِ تكرّرت التجارب فى وجود الطفلة .. فى البدايةِ كان (شارون) يقول لـ (كين) إنه فى السابعةِ من عمره وأن (نيكى) جاءت لتلعب معه .. ثم يقول لـ (نيكى) إن (كين) جاء ليلعب معها .. عندها يسترسل الاثنان فى اللهو دون تدخل من (شارون) ، وتنمو صداقةً حميمةً بين الاثنين يومًا فيوم ، وهى صداقةٌ لا يعرفان عنها شيئًا حين يفيقان ..

ولقد سألت (روبى) عما يشعر به آل (جانوس) ، فقال :

ـ « إنهما سيفعلان أى شىء من أجل (ماك) ، ويحسبان أن هذا سوف يساعد (نيكى) .. »

ـ « ويعرفان أن (كين) سيموت ؟ »

ـ « أخبرتهما لكنهما لم يصدقا حرفًا .. من يمكنه أن يشك ما دام (نيكى) بهذه الحيويةِ ؟ »

* * *

فى (ديسمبر) جاءنا من (لندن) خبر رهيب .. إن الوزارة ترغب فى إرسال مفتش يتفقد سير العمل

فى (ساكسمير) .. وقررت أن أذهب أنا إلى (لندن) لأكتم أنفاسهم .. لقد صرت الآن مع (ماك) فى كل شىء يفعله ..

وهكذا استطعت إقناع مسئولى الوزارة بأن زيارة فى هذا الوقت المبكر هى استباق لنضج الثمرة ، لكننا نأمل فى ظهور شىء قبل رأس السنة ..

عدت إلى (ساكسمير) .. لكنى ـ على المحطة ـ لم أجد (كين) ينتظرنى ببسمته المشرقة ، لقد أصيب بالبرد ولزم الفراش ..

كان الفتى فى الفراش محتقن الوجه ، لكن معنوياته ممتازة ، وقال لى :

ـ « لا تقلق .. لقد اصطدت الطيور فى المستنقع ، وابتلت قدماى قليلاً .. »

رحت أحكى له عن (لندن) ، ثم فارقته لأرى (ماك) .. الذى قال لى :

ـ « لقد ارتفعت حرارته وأجرى (روبى) تحليلاً لدمه .. ليست النتيجة مطمئنة جدًا .. »

وصمت ثم قال بعد برهة :

ـ « لربما كانت هذه هى المرة .. »

وشعرت بالقشعريرة إذ أردف :

- « لقد أصيب (كين) بعدوى فى رئته اليمنى ، وهى فى الغالب قاتلة مع فقدان المناعة المصاحب لسرطان الدم .. »

وفى الصباح جاء (ماك) لغرفتى ليخبرنى :

- « أن الأمور أسوأ .. ولسوف يجرى (روبى) نقل دم للفتى .. »

- « قل لى ما علىّ أن أفعله .. »

- « ساعدنى على إعداد (شارون — 1) و (شارون - 2) .. فإن لم يستجب (كين) كان علينا أن نبدأ المرحلة الأولى من مشروع (ستيكس) ، وقد أخبرت مسز (جانوس) أننا قد نحتاج إلى ابنتها ..»

وفى المعمل كان (كين) مع (روبى) ؛ بينما عملت أنا على الجهازين ، وكان كل شىء على ما يُرام .. وبعدها حدث تحسن طفيف لـ (كين) ..

فى الرابعة والنصف جاءنى (روبى) فى قاعة البنج - بونج ، ومن وجهه عرفت أن الأمور ليست على ما يُرام .. هزّ رأسه حين اقترح (ماك) نقل دم آخر ، وقال إن هذا مضيعة للوقت ..

ـ « هل ما زال بوعيه ؟ »

ـ « نعم .. »

كان الجزء الثانى من عملية (ستيكس) ، يتضمن وضع وحدة أوكسجين جوار فراش (كين) ، وإعداد مكبرات الصوت .. كل شىء تم التدرب عليه من قبل طويلاً ..

لقد انتظر (ماك) هذه اللحظة لعدة أشهر .. وربما أعوام ..

ضغطت على زرّ (شارون) ، واختلست نظرة إلى (كين) .. حقًا قد تبدّل تمامًا ، واختفت عيناه اللامعتان فى وجهه المجعّد ، وبدا حائرًا إذ ثبت (روبى) الأقطاب علىّ صدغيه وصدره .. كان يعرف أن هذه آخر مرة يرانا فيها وهو بكامل وعيه ..

شغلت النظام كاملاً ليتعالى الصوت : هنا (شارون) ينادى .. هنا (شارون) ينادى .. وأغمض الفتى عينيه ..

سأله الحاسب الآلى :

ـ « كيف تشعر يا (كين) ؟ »

حرّك شفتيه ، وبعسر سمعنا الإجابة :

ـ « أنت تعرف كيف أشعر ! »

ـ « وأين أنت ؟ »

ـ « إن الجو بارد .. بارد .. هم يريدون تجميدى كاللحم لدى الجزار .. قل لـ (روبى) أن يعيد الحرارة .. إننى أقف أمام نفق .. كأنه الناحية الأخرى من تلسكوب .. قل لـ (روبى) أن يعيد الدفء .. »

وثب البرنامج إلى النقطة التالية على الفور :

ـ « إن عمرك خمسة أعوام يا (كين) .. قل لنا ما تشعر به .. »

ساد الصمت ، ثم همس (كين) كما توقعت :

ـ « أنا لست على ما يُرام ، ولا أريد أن ألعب .. »

هنا انفتح الباب ودخلت (نيكى) .. لقد استدعاها (ماك) الآن ، ولم تكن ترى ما يدور ؛ لأنها كانت تحت السيطرة ..

جلست على مقعد .. وأغلقت عينيها ..

ـ « قولى لـ (كين) إنك هنا يا (نيكى) .. »

اعتصرت مسندى المقعد بيديها ، وقالت :

ـ « (كين) مريض .. لا يريد أن يلعب .. »

ـ « إجعلى (كين) يتكلم يا (نيكى) .. »

- « (كين) لن يتكلم .. إنه يتلو صلاة .. »
وبدأت الطفلة تضرب الأرض بقدميها .. وقالت :
- « لن أذهب فى النفق يا (كين) معك .. إنه مظلم .. »
- « اذهبى خلف (كين) يا (نيكى) ! »
- « لكنه مظلم .. »
وراحت تصدر حركات متلوية لليمين واليسار بجسدها ، وتبكى :
- « لا أريد أن أذهب .. إن النفق طويل .. »
أمر (ماك) بتثبيت قناع الأوكسجين على وجه (كين) ، ثم واصل التجربة :
- « ابقى مع (كين) يا (نيكى) .. »
تمنيت لو كان (ماك) يعرف ما يفعله .. ماذا لو دخلت الفتاة فى غيبوبة ولم نستطع إستعادتها ؟
وأمرنى (روبى) أن أضع بطانية على جسد الفتى الهامد .. وعلى شاشة (شارون - 3) رأينا الموجات الكهربية التى تدور فى رأس (كين) الآن ..
فجأة عقدت الفتاة يديها على صدرها حيث جلست ، ثم ثنت ركبتيها إلى بطنها ، وسقط رأسها إلى الأمام ..

بدا لى كأنها تصلى ثم أدركت أنها تتخذ وضـع الجنيـن فى بطن أمه .. وتجعد وجهها فبدت كامرأة عجوز ..

وقال (روبى) وهو يتحسّس نبض الفتى :

ـ « إنه يرحل .. »

بدت الإشـارات على الشاشـة خافقـة ، ثم تزايدت فجأة .. وقال (روبى) :

ـ « انتهى الأمر .. إنه ميت .. »

لكن الإشارة لم تنقطع .. وقال (ماك) فى حماسة :

ـ « لقد فعلناها ! »

ووقفنا عدة دقـائق نرمق شاشـة (شارون ــ 3) الذى اختزن الطاقة السادسة فى عقـل (كين) ، إلى أن قال (روبى) :

ـ « ماذا عن الطفلة ؟ »

كنـا قـد نسـيناها تمامًـا .. ومـددت يـدى لأغلـق الحاسب لكن (ماك) منعنى :

ـ « دعها لنر ما ستقول .. »

واستدعاها بالإشارة .. مكررًا آخر جملة قيلت :

ـ « ابقى مع (كين) .. قولى لنا ماذا يحدث .. »

فى النهاية تراخـى جسدها .. وراحـت تهتز أمامًـا وخلفًا ، وبصوت بدا لى غريبًا مبحوحًا قالت :

- « إنه يرجوكم أن تتركوه .. دعوه يرحل ! »
وبدأت تشهق من أجل التنفس ، وتهتز :
- « دعوه يرحل ! دعوه يرحل ! »
قال (روبى) فى توتر :
- « (ماك) ! يجب أن توقظها ! »
وبدأت الطفلة تشرق وتتمايل أكثر فأكثر ..
لم أنتظر (ماك) وضغطت على الزر ليتعالى صوت (شارون) :
- « انتهى الأمر .. انهضى يا (نيكى) .. »
زال الاحتقان عن وجهها .. وببطء فتحت عينيها ، ونظرت إلينا ، ثم باكفهرار قالت لنا :
- « أريد الذهاب إلى الحمام .. »
فاقتادها (روبى) إلى هناك ..
قال (ماك) لى بصوت حاد :
- « لو لم يصبك الهلع وتوقف التجربة ، فلربما عرفنا أكثر .. »
- « الطفلة كانت تختنق .. »
- « لا أعتقد هذا .. لقد كانت تمرّ بـ (صدمة الميلاد) .. وما بدا لك اختناقًا لم يكن سوى أول

شهيق يأخذه الوليد .. لقد عاد (كين) فى أثناء الاحتضار إلى تلك اللحظة ، وكانت (نيكى) معه .. ».

قلت له :

ـ « إن صعوبة التنفس حدثت بعد وفاة (كين) .. لا يمكن أن يكون (كين) قد عاد للحظة الميلاد .. لأنه كان قد مات فعلاً .. ألا ترى هذا معى ؟ »

لم يجبنى .. قال بعد صمت :

ـ « لا أعرف .. لا أعرف .. »

هنا عاد (روبى) وقال لنا :

ـ « لقد نالت الطفلة ما يكفى .. لقد أرسلتها للبيت وأمرت أمها أن تدخلها الفراش .. »

ولم أكن قد سمعته يتحدث بهذه النبرة من قبل .. وأردف :

ـ « ألا ينطبق هذا علينا جميعًا ؟ سنحتفل بالأمر غدًا لكن ليس الليلة .. »

كان على وشك الانهيار العصبى، وكذا كنا جميعًا ..

بعد قليل جاء (جانوس) ليخبرنا أن ابنته نامت على الفور .. لقد انتهى الأمر فلم يبق إلا أن نتناول عشاءنا ، ثم نظفر براحة النوم العظيمة ..

لكن حافزًا أقوى منى دفعنى إلى العودة وحدى للمعمل .. كان كل شىء كما تركناه والجسد مغطىً بالملاءة .. والشاشة تتراقص عليها الإشارات ..

أدرت الشريط لأسمع آخر ما قالته الطفلة :

- « إنه يرجوكم أن تتركوه .. دعوه يرحل ! »

ثم تعالى شهيقها المختنق ..

رفعت رأسى فوجدت (ماك) واقفًا عند الباب والكلب معه ..

- « (سيربيروس) قلق .. إنه لا يكف عن الحركة فى غرفتى ، ولا يدعنى أنام .. »

قلت :

- « (ماك) .. ثمة شىء خطأ .. »

- « انظر إلى الشاشة تر الإشارة .. لقد نجحت التجربة .. إن الطاقة هنا .. »

- « نعم .. لكن هل هذا كل شىء ؟ عندما قالت الطفلة هذا ، كان (كين) ميتًا .. ما الذى قال دعونى أرحل ؟ هل كانت له شخصية قادرة على الكلام ؟ ما لم ..... »

- « ما لم ماذا ؟ »

- « مـا لـم يكن مـا نـراه علـى الشاشـة هـو جوهر وجود (كين) نفسه .. »

نظر لى غير مصدق ، ورحنا نرمق الإشـارة علـى الشاشة .. عندها فقط بدأ إحساسنا بالرعب والذعر ..

- « (ماك) .. ما هذا الذى فعلناه ؟ »

★ ★ ★

فى الصباح اتصلت بنا مسز (جانوس) لتخبرنا أن (نيكى) تقوم بأعمال غريبة .. ولا تكـف عن القفـز للأمـام والخلف .. لم تكن محمـومة .. لكنها لـم تـأكل إفطارها ولم تتكلم ..

جلسـنا فى غـرفة الطعـام شـاردين .. ونهـض (روبى) مسرعًا قائلاً :

- « سأذهب على الفور .. هذا تأثير ما حـدث أمس ، وما كان لى أن أسمح به .. »

- « قال (ماك) :

- « أنت تعرف أن هناك خطرًا من البداية ، وبرغم هذا وافقت .. »

- « كنتُ مخطئًا .. هذا كل شىء .. »

- « ما كنا لننجح بدونها .. »

وانطلق (روبى) دون كلمة ليستقل سيارته ..

عدنا إلى المعمل حيث كان (جانوس) يعدّ جثة (كين) المسكين .. هنا دق جرس الهاتف وسمعت صوت (روبى) :

- « يجب أن نبعد الطفلة .. تبدو لى الحالة كـ (كاتاتونيك شيزوفرنيا) .. إن مسز (جانوس) لا تستطيع التصرف ، ولو سمح (ماك) سآخذها إلى العيادة النفسية فى مستشفى (جاى) .. »

شرحت الأمر لـ (ماك) ، فتناول السمّاعة وقال :

- « اسمع يا (روبى) .. أنا مستعد لتحمّل مسئولية وضع الطفلة تحت سيطرة (شارون) ثانية .. »

لم يبد (روبى) متحمسًا .. فأشار لى (ماك) وناولنى السماعة :

- « قل لـ (روبى) أن ينتظر قليلاً .. »

واتجه إلى (شارون - 2) وشغله .. وسرعان ما بدأت إشارة الاستدعاء ..

هنا سمعت (روبى) يصرخ : ماذا حدث ؟ ثم صوت السماعة يسقط .. أصوات بعيدة وصراخ لمدة دقيقة .. أخيرًا جاء صوت (نيكى) فى الهاتف .. كانت حائرة خائفة ، وقالت لـ (ماك) :

ـ « أنا خائفة .. ثمة ساعة تدق فى مكان ما ، وأنا لا أحبها .. »

ـ « أين هى يا (نيكى) ؟ »

لم تردّ .. بعد قليل قالت :

ـ « هى فى كل مكان وأنا لا أحبها .. (بينى) لا تحبها كذلك .. »

(بينى) ؟ هنا تذكَّرت أنها أختها التوءم المتوفاة .. كل هذا لا يُحتمل .. ما كان لنا أن نزج بالطفلة فى هذا كله ..

أدار برنامج (شارون ـ 2) ليتعالى الأمر :

ـ « ابقى مع (كين) .. قولى لنا ماذا يحدث .. »

هنا صرخت .. ولا بد أنها سقطت أرضًا لأننا سمعنا السماعة تسقط ، ثم جاء صوت (روبى) :

ـ « بحق السماء يا (ماك) .. ستقتلها .. كف عن هذا ! »

ـ « وماذا تفعل هى ؟ »

ـ « مثل أمس .. كأنها تختنق .. انتظر .. إنها تريد أن تكلمك .. »

وبعد لحظات جاء صوت الطفلة :

- « دعوه يرحل ! دعوه يرحل ! »

- « هل أنت على ما يُرام ؟ »

- « دعوه يرحل ! »

وضع السماعة ، وراح يراقب الإشارة على الشاشة ، وبدا لى كأنما ازداد إرهاقًا وشيخوخة لكن عينيه تلتمعان رهبة .. وهمس :

- « ربما أنت محق .. معنى هذا أننا اخترقنا ! »

ثم غمغم :

- « لقد تغيرت الإشارات إذ تكلمت الطفلة .. لقد جاءت الإشارات من القوة السادسة الخاصة بـ (كين) .. يجب أن نحضر الطفلة هنا أمام (شارون) لنستجوبها ونفهم أكثر .. »

- « (ماك) .. هل تريد قتل الطفلة أو أخذها لمستشفى المجاذيب ؟ »

فى قنوط نظر إلى الشاشة ، وقال :

- «يجب أن أعرف يا (ستيف) .. يجب أن أعرف .. إن كل هذا يغير معنى الحياة للأبد ، ومعناه أن القوى السادسة لم تفن منذ وُجد الإنسان على الأرض .. »

هنا دق جرس الهاتف .. كان هذا صوت (جانوس)

يخبرنا بأن سيدين قد جاءا من الوزارة ، وهما يريدان د. (ماكلين) حالاً لأمر ملحّ ..

خرجت لألقاهما .. وتعرفت أحدهما ممن قابلت فى (لندن) .. قدّم لى اعتذاره وقال : إن معاون (ماكلين) السابق المستقيل قد قابلهم ، وأخبرهم أنه استقال بسبب أبحاث (ماكلين) الغامضة التى تجهلها الوزارة ..

- « سيكون معكما حالاً .. وإلى هذا الوقت يمكنكما سؤالى عما تريدان .. »

- « نحن هنا لنرى ما حققتم .. »

- « أنا آسف .. لقد توقفنا عن العمل منذ فترة بسبب فقد أحد أعضاء الفريق (كين رايان) أصيب بسرطان الدم وتوفى أمس .. »

تبادلا النظرات .. ثم قال الرجل الأول :

- « سمعنا عن هذا ، وسمعنا أن التجربة الجارية تتعلق بمرض الفتى .. »

- « هذه معلومة خاطئة ، وحين يعود (روبى) يمكن أن يخبركما بالتفاصيل الطبية .. »

كنت أعرف أن ما أقوله لن يمنعهما من دخول المعمل ..

ودخلنا لنجد (ماكلين) واقفًا أمام (شارون ـ 3) .. كانت الشاشة تلتمع لكن ما من إشارة عليها .. لاحظت هذا ولم أقل شيئًا ..

قال لى (ماك) دون أن يعير الرجلين انتباهًا :

ـ «نعم .. لقد فصلت كل شىء ، وفقدنا القوى ! »

شعرت بدلاً من الراحة بالشفقة .. الشفقة على الرجل الذى دمّر فى خمس دقائق عمل أشهر كاملة ..

ـ « لم ينته الأمر بل بدأ .. وما حدث لن يعرفه سوى ثلاثتنا .. كنا على حافة اكتشاف لم يتصوره أحد .. لكن ما قالته الطفلة أثار قلقى ، ولهذا أطلقت سراح الطاقة .. إن (كين) حرّ الآن وكذا الطفلة .. لكننى مستعد لمواصلة البحث حتى آخر أيامى .. »

ثم همس :

ـ « قل لهذين الموظفين إن تجاربنا فشلت ، وإننى تركت العمل .. الآن يا (ستيف) نحن ملك أنفسنا .. إن الطفلة ستكون على ما يُرام فاذهب إليها وابعث لى بـ (روبى) .. سأتعامل أنا مع هذين (المخبرين) من الوزارة .. »

اتجهت إلى الخارج ، ونظرت إلى المستنقع ..

كان (سيربيروس) يركض بجوارى .. ينظر لى من آن لآخر ..

لقد حطم (ماك) - بيديه - الخيط الوحيد الذى جلبنا هاهنا .. لقد امتلكه بضع ساعات .. وكان يقودنا لعالم تلو عالم من الاكتشافات ..

الآن قلَّ تصديقى بالأمر .. ربما كنا مخطئين .. خدعتنا عواطفنا وآلام طفلة متخلفة عقليًا وخائفة .. صعدت إلى الهضبة لأرى أكواخ حرس الشاطئ من عل .. ورأيت (روبى) يخرج من الكوخ مع الطفلة ، وكانت على ما يُرام ..

جرت لتحيى الكلب .. ثم راحت تركض ، ذراعاها فوق رأسها ، تضحك ، ترقص ، والكلب ينبح فى إثرها .. ودوّت أبواق من القاعدة العسكرية الأمريكية ..

ثم لم يعد من صوت سوى النباح ، ورقص الطفلة ، والأبواق الرفيعة تتردد فى السماء ..

* * *

ليس بعد منتصف الليل

مهنتى هى معلّم أو كانت معلمًا ، وقد قدمت استقالتى لناظر المدرسة قبل أن يجىء طردى الذى لا مفر منه ..

كان السبب الذى قدمته للاستقالة هو المرض ، بسبب عدوى التقطتها فى أثناء عطلة فى (كريتِ) ، ولربما اضطرتنى للبقاء فى المستشفى عدة أسابيع ..

لم أوضح طبيعة المرض لذا عرف وقام بالباقى .. إن شكواى عامة ، ومنذ أقدم العصور كانت تبعث جوًا من المرح والسخرية لدى الناس ، حتى يتجاوز المريض الخط ، ويصير تهديدًا للمجتمع ..

يتحاشى بعض الناس أن يقابل عيوننا ، ونُترك وحدنا نحاول الخروج من الخندق أو نظل هناك حتى نموت ..

ولئن بدوت مليئًا بالمرارة ، فلأن عدواى جاءت وأنا برىء تمامًا ..

ربما استطعت أن تعزو عدوى مماثلة إلى الوراثة أو الإهمال أو مشاكل الأسرة ، ويلقى أمثالى بأنفسهم على أريكة المحلل النفسى ، يسكبون ما فى أنفسهم ويشفون .. لكنى عن ذلك عاجز ..

إن الطبيب الوحيد الذى صارحته بما بى ؛ تكلم قليلاً عن (الشعور المكبوت بالذنب) وأعطانى بعض أقراص ، ربما تحسنت لو أخذتها لكنى لم أفعل .. ألقيتها فى البالوعة .. وزاد حالتى سوءًا الشباب الذين كنت أعتبرهم أصدقائى ، والذين كانوا يتغامزون عندما يروننى أو يحبسون الضحكات ، حتى جاء اليوم الذى قررت فيه عجزى عن الاستمرار ، وقرعت باب الناظر ..

حسن .. لقد فرغ هذا .. انتهى .. والآن أريد أن أشرح ما حدث فى المقام الأول .. ومهما يحدث لى سيجدون هذه الأوراق ، ويمكن للقارئ أن يقرر أن ما حدث كان نتيجة للخوف فوق الطبيعى ، أو أننى سقطت فريسة لسحر قديم أسود شرير ، فقدنا جذوره منذ فجر التاريخ ..

كان الوقت فى (أبريل) ـ عيد الفصح ـ وكنت قد زرت (اليونان) كثيرًا ، لكنى لم أزر (كريت) .. لم يكن غرض زيارتى لـ (كريتِ) هو رؤية أطلال المدن القديمة كـ (كنوسوس) و (فيستوس) ، ولكن كى أمارس هواية شخصية .. كانت لدى موهبة فى الرسم

بالزيت ، وقد أمتدح عملى بوساطة صديق أو اثنين من هواة الفن ..

هنا أتحدث باختصار عن حياتى : أنا عزب ، فى التاسعة والأربعين ، والداى متوفيان ، تعلمت فى (أوكسفورد) وألعب الجولف والبريدج ..

أهوى الرسم والسفر حين أجد المال .. خطاياى حتى الآن هى - حرفيًّا - لا شىء .. ليس هذا غرورًا .. لكننى رجل خمول غير مندفع عاطفيًّا ، ولم يضايقنى هذا قط .. وكنت أكره الاختلاط بالناس .. لى صداقات غير عميقة لأن تعميق الصداقات يؤدى دومًا إلى كارثة ..

سافرت إلى (كريت) لا أحمل سوى حقيبة صغيرة وأدوات الرسم ، وقد أوصى لى عميل شركة سياحة بفندق يطلّ على خليج (ميرابللا) على الساحل الشرقى .. شاليهات على البحر مباشرة ، ولست مبذرًا ، لكنى سمحت لنفسى بأن أضيف لنفقاتى تكاليف استئجار سيارة (فولكس فاجن) صغيرة ، لدى وصولى إلى مطار (هيراكليون) ..

قطعت أربعين ميلاً مرهقة فى الطريق لوجهتى ، خاصة وأنا سائق حذر ، فى طريق متعرج رهيب .. أخيرًا وصلت إلى الفندق ، فتناولت الغداء فى الشرفة المطلة على البحر ، وبعدها اقتادنى الساقى إلى حديقة ملأى بأشجار (الجيرانيوم) ، وبها شاليه يطلّ على البحر ، وأسرة إنجليزية ابتسمت لى الأم فيها من الشرفة .. ورأيت رجلين يلعبان الجولف ..

صحت محتجًا :

ـ « هذا غير وارد .. لقد جئت هنا كى أرسم البحر وحدى .. »

وعدت إلى الفندق لأقول لموظف الاستقبال :

ـ « لا بد أن هناك خطأ .. لقد طلبت شاليهًا يطلّ على البحر ، والخصوصية بشكل خاص .. »

ابتسم واعتذر ، وراح يقلّب الأوراق .. إن وكيلى لم يحجز لى شاليهًا على البحر .. ربما بعد أيام يلغى أحدهم الحجز ، سأكون مستريحًا حيث أنا ..

قلت غاضبًا وأنا لا أطيق فكرة السجن مع تلك الأسرة الإنجليزية :

ـ « أنا بروفسور أدرس الفن .. وعلىّ تنفيذ

مجموعة رسوم ما دمت هنا ، ومن المهم أن أرى البحر ، وألا يكون حولى جيران »

كان جواز سفرى قد كُتب فيه أننى (بروفسور) ، وهى أرقى من لفظة (أستاذ) .. وكانت تثير الاحترام دائمًا ..

راح يقلب الأوراق أمامه مرهقًا .. فقلت :

- « لا أصدق أن كل الشاليهات محجوزة .. الوقت مبكر جدًا .. ربما حين يتوغل الصيف ، لكن ليس الآن .. »

وأشرت إلى الشاليهات عند الشمال ، وقلت :

- « هل هذه محجوزة أيضًا ؟ »

- « إنها باهظة الثمن .. فبها حمّام وجهاز هاتف لكل منها .. »

أجريت حسبة صغيرة بعد ما عرفت الثمن .. يمكننى اقتطاع نفقاتى والاستغناء عن وجبة الغداء ، والامتناع عن مغادرة الفندق .. لذا قلت بعظمة :

- « حسن .. لا مشكلة .. سأدفع من أجل الخصوصية .. ولو لم يكن لديك اعتراض سأذهب لأختار الشاليه المناسب .. »

ولم أعطه وقتًا للرد واستدرت مبتعدًا .. من المفيد أن يكون المرء حازمًا .. إن هى إلا دقيقة تردد ويرغمنى على البقاء حيث أنا ..

ارتفعت معنوياتى عندما رأيت البحر .. الماء يغسل الصخور ، وشاطئ ممتد بلا مستحمين .. كل النوافذ مغلقة ما عدا واحدة .. كان هذا الشاليه مناسبًا جدًا فهو يرينى أجمل منظر للبحر والخليج ..

نظرت عبر النافذة المفتوحة إلى غرفة النوم .. كان بها فراش جواره منضدة عليها هاتف ومصباح ، الجدران بيضاء والأرض صخرية .. فيه كل بساطة محراب راهب ، لكنى لا أطلب أكثر ..

سمعت من الحمام صوت ماء متدفق .. أية خيبة أمل ! إذن فالشاليه محجوز بعد هذا .. نظرت عبر الباب المفتوح فوجدتها الخادمة الإغريقية الشابة تنظف أرض الحمام ، وأصابها الرعب حين رأتنى فأشرت لها .. وسألتها :

ـ « هل هو محجوز ؟ »

أجابتنى باليونانية ، وأمسكت بخرقة التنظيف ، خائفة اندفعت إلى الباب وتركتنى دون أن تتمّ عملها ..

دخلت غرفة النوم وأمسكت بالهاتف ، وطلبت موظف الاستقبال :

ـ « أنا مستر (تيموثى جراى) »

ـ « نعم يا سيدى .. من أين تتحدَث ؟ »

وضعت السمّاعة وخرجت إلى خارج الشاليه .. كان الرقم على الباب هو (62) ..

ـ « أتحدَث من الشاليه الذى اخترتـه وهو مناسب جدًّا .. إنه الوحيد المفتوح هنا.. ورقمه هو (62) ..»

لم يردّ فورًا وبدا متشككًا :

ـ «تقول رقم (62) ؟لا أعتقد أنه متاح يا سيِّدى ..»

وراح يتكلم باليونانيّة مع شخص بجواره .. فسألته:

ـ « هل هناك مشكلةً ؟ »

ـ « لا مشكلةً يا مستر (جراى) .. لكننا نشعر أنك ستكون مستريحًا أكثر فى رقم (57) .. وهو دانٍ من الفندق .. »

ـ « هراء .. المشهد أفضل من هنا .. »

ـ «لكن يا سيدى .. لو صممت سأرسل لك الحمال بالمفتاح .. »

وعاد يتكلم باليونانيةَ ثم وضع السماعة ..

سأفرغ حقائبى وأسبح ، ثم أرسم لوحة مبدئية قبل أن أبدأ العمل الجاد صباح غد .. وجاء الحَمّال يحمل حقيبتى ولوحة الرسم .. رأيت الخادمة تقابل الحمال .. تتبادل حديثًا هامسًا معه .. يبدو أننى حرقت الروتين الهادئ هنا ..

ـ « منظر رائع .. يجب أن أسبح ! »

قلتها بصوت عالٍ ، وحركت يدىّ بحركة السباحة ، وعلى وجهى الرغبةُ فى أن أرى ابتسامة اليونانيين المشرقة الحاضرة دومًا ..

تفادى الحمال عينىّ وانحنى بجدية ، أما الفتاة فكانت منزعجة بحق ، ثم ابتعدا على الفور ، وهما ينظران إلى الوراء فى توجس ..

فتحت حقائبى .. ثم خرجت إلى الصخور تحت الشرفة ، وتحسست بإصبع قدمى الماء .. كان باردًا بشكل غريب برغم الشمس التى تغمره ..

إلا أننى واصلت السباحة ولم أبتعد أكثر ، لأننى بطبعى سبّاح حذر .. خرجت إلى الشاليه وجففت نفسى ، وأنا أرمق القوارب تعود إلى المرفأ فى سكون من بعيد ..

ثم أخرجت أدوات الرسم وانهمكت فى العمل ..

عملت لمدة ساعتين ، وسرعان ما صار لون البحر أدكن ، والسماء القصية أرجوانية .. غدًا يمكننى أن أرسم الشروق باللون بدلاً من الفحم ..

أغلقت مصاريع النافذة ، واستعددت لأرتدى ثياب العشاء ..

لمحت قاربًا بخاريًا متجه بنعومة إلى الجزء الشرقى يمينى، وعليه ثلاثة مجانين صيد منهم امرأة .. وأدركت أن أحدهم يونانىّ ، سرعان ما ترجل ليعين المرأة على الهبوط ..

ورأيت الثلاثة ينظرون فى اتجاهى .. لبضع دقائق راحوا يرمقوننى ، والرجل الجالس فى القارب وراء الدفّة يسلط علىّ منظارًا مقربًا .. يتفحص به كل تفصيلة فى شكلى ، الذى - يعلم الله - لم يكن ملفتًا للنظر ..

شعرت بضيق فانسحبت للداخل ..

لا بد أننى أثرت اهتمامهم بظهورى وسط هذه الشاليهات الخالية .. لن يمر وقت طويل قبل أن ينسونى ..

وفى الثامنة قصدت الفندق .. دخلت قاعة الطعام فانتقيت منضدة فى الركن تناسب حبى للوحدة ، واستمتعت بالعشاء وبدأت فى تقشير برتقالة ، حين سمعت صوت ارتطام قوى فى الناحية الأخرى من القاعة ..

كان صوت أمريكى قادم من الجنوب يصيح بصوت عال :

- « بحق السماء نظفوا هذه الفوضى ! »

كان رجلاً عريض المنكبين فى منتصف العمر ، له وجه لوحته الشمس كأنما مليون نحلة لدغته ، وكان أصلع الرأس وجلد رأسه ورديًا مشدودًا كقطعة سجق توشك على الانفجار .. وله شارب سميك لم يخف شفته السفلى السميكة الرطبة .. قلما رأيت شخصًا منفردًا كهذا ..

وجواره كانت امرأة - أعتقد زوجته - فى منتصف العمر ، لها وجه ملوّح كزوجها ، وكانت تجلس بلا حراك ..

كان الناس قد فرغوا من إرواء فضولهم ، لكنى ظللت أرمق الزوجين وهما ينهضان قاصدين البار ،

واستطعت أن أرى أداة السمع فى أذنها .. لهذا لم تسمع الضوضاء ، وهكذا تتحمل صوت زوجها الغليظ ..
ولاحظت براعة عاملى الفندق الذين نظفوا الأرض بسرعة ودقة ..
قال لى الساقى :
ـ « القهوة فى البار يا سيِّدى .. »
كنت أمقت الضوضاء والصوت العالِ ، لكننى أمقت كذلك أن أفوّت قهوة ما بعد الطعام ، لهذا نهضت ..
كان البار خاليًا ما عدا الساقىِ خلف المنضدة ، والأمريكى وزوجته ، وموسيقا راقية تُعزف من مكان ما ..
سألنى الساقى عما إذا كنت أمضيت يومًا طيبًا فأجبت أن نعم ..
لقد كانت رحلتى ممتعة ، ووجدت شاليهًا ممتازًا هو رقم (62) ..
غريب هذا ! كان يلمع كوبًا فتوقف فجأة .. بدا كأنما سيقول شيئًا ثم عدل عنه ..
ـ « أغلقوا هذا التسجيل الكريه ! »
كان هذا هو صوت الأمريكى الغليظ ، فاتجه البارمان إلى (الجراموفون) وخفض الصوت ..

- « أحضروا لى زجاجة أخرى ! »

لو كنت مكان الساقى لكلمت الرجل كما يكلم أب ابنه ، ولطلبت منه أن يقول : من فضلك .. لكن الساقى فعل كما أمر الوحش ..

هنا دوّى صوت الأمريكى من جديد :

- « هيه ! أنت يا شاليه (62) ! أنت لا تؤمن بالخرافات ! »

استدرت نحوه ، وتذكّرت الكياسة التى يجب على المرء أن يعامل بها المجانين والسكارى .. وبلطف قلت :

- « لا .. لا أومن بها .. هل يجب ذلك ؟ »

احمرّ وجهه أكثر ، وضحك :

- « حسن .. سحقًا ! لو كنت مكانك لفعلت .. لقد غرق أحد نزلاء ذاك الشاليه منذ أسبوعين ، وانتشل الموظفون جسده بعد يومين ، وقد التهمه الأخطبوط ! »

وراح يهتزّ ضحكًا ويضرب على ركبتيه .. استدرت للساقى متسائلاً فقال :

- « نعم هو حادث تعس .. كان مستر (جوردون) رجلاً طيبًا يعشق الآثار .. وقد اختفى فى ليلة حالمة

سبح فيها بعد العشاء .. لكننا لا نتكلم عن هذا هنا .. أنت تفهم .. سيكون هـذا ضـارًا بالـ (بيزنس) .. وأؤكـد لك أن المـاء آمن ، وهـذا أول حـادث من نوعـه .. »

- « آه .. دعك من هذا .. »

لكنى تضـايقت مـن فكـرة أن الشـاب المسكين كـان آخـر من استعمل الشـاليه الذى أقيم به .. لكن الأمـر لا يتساوى طبعًا مع أن يكون مات فى الفراش ، ولم أكن مؤمنًا بالخرافات ، لكنى فهمت سرّ ذعر الخادمة الشابة ..

هنا صاح الصوت الغليظ :

- « دعنى أقل لك شيئًا : ليس بعد منتصف الليل ! لا تسـبح بعـد منتصـف الليـل حتـى لا يظفـر بـك الأخطبوط .. »

وانفجرت ضحكاته ثانية ، قبل أن يصطحب المرأة وينصرف ..

حين خلت الغرفة تنفست بارتياح ، وقلت للساقى :

- « يا له من رجل مستحيل ! ألا تستطيع الإدارة الخلاص منه ؟ »

هزّ كتفيه وقال :

- « (البيزنس) هو (البيزنس) .. فماذا يفعلون ؟ الأمريكان لديهم مال كثير .. وقد وصل آل (ستول) هنا لثانى موسم .. إنهم مجانين يحبون الصيد ، ومستر (ستول) يخرج للبحر يوميًا يصطاد من الصباح حتى الغروب .. لكنه لا يجلب السمك للفندق أبدًا بل يعطيه للنوتى .. »

- « كم أشعر بالشفقة على زوجته .. »

- « حقًا .. لكنها هى من يملك المال .. إنها لا تفارقه أبدًا وتذهب إلى الصيد معه .. إنها تراقبه جيدًا برغم صممها .. »

غادرت البار عائدًا إلى الشاليه ..

كان الهواء منعشًا ، له رائحة البذور المزروعة فى أرض حمراء .. وكانت النجوم تلتمع فى السماء .. وفى الشاليه وقفت أرمق الجبال النائية والبحر وقلت لنفسى : كم هى بقعة جميلة ..

دخلت الفراش وأضأت المصباح بجواره .. كانت الغرفة ودودًا دافئة .. قبل أن أمدد جسدى تذكرت الكتاب الذى تركته بالشرفة .. كنت بحاجة إلى قراءته ..

فتحت مصراع النافذة وخرجت لألتقطه ، وقبل أن أدخل نظرت إلى البحر تحتى ..

أكثر الأضواء كانت منطفئة فيما عدا ضوءًا فى شرفة شاليه بعيد .. وفى الضوء رأيت شيئًا يتحرك فى البحر نحوى .. كان أنبوب تهوية كمنظار الغواصة يبرز من تحت سطح الماء ، لشخص يتحرك هناك .. ثم اختفى إلى اليسار ..

أغلقت المصراع ودخلت ..

لا أعرف السبب .. لكن منظر هذا الشىء أثار قلقى، وذكرنى بالغريق الذى هلك بعد منتصف الليل .. لابد أنه غرق فى ليلة دافئة كهذه إذ حاول أن يسبح تحت الماء ليلاً ..

قرأت بضع صفحات ، ثم أطفأت النور ..

هنا سقط الهاتف على الأرض، فانحنيت والتقطته .. ولاحظت أن الدرج كان مفتوحًا ، وبه بطاقة عليها اسم (تشارلز جوردون) ..

أعرف أن (جوردون) هو اسم من سبقنى .. ثمة كلمات مكتوبة على جانب البطاقة الآخر تقول : ليس بعد منتصف الليل ..

ثم بعد هذا رقم (38) ..

دسست الورقة فى الدرج .. وبرغم أننى كنت مرهقًا فلم أستطع النوم قبل الثانية صباحًا ، ولوقت طويل ظللت أصغى للماء يصطدم بالصخور تحت شرفتى ..

* * *

ظللت أرسم ثلاثة أيام ، فلم أفارق الشاليه إلا لأسبح أو لأتناول طعام الإفطار أو العشاء ، ولم يضايقنى أحد .. وكنت أستبقى من الإفطار ما يكفى للغداء .. وكانت الخادمة تأتى لتنسق فراشى صباحًا ..

كدت أنتهى من رسم المشهد الانطباعى ، وبدا لى مرضيًا جدًا ، لذا قررت أن أستريح وأن أستكشف الساحل قليلا ..

كنت أعرف الآن أن قارب المستر (ستول) المزعج هو الذى أراه جوار الشاليه المضىء إياه .. كان يخرج مع زوجته للصيد فى الصباح المبكر فلا أراهم يرحلون ، لكنى كنت أراهم عند العودة ، وأسمع سبابه للرجل الذى يرافقهما فى الرحلة ..

فليفعل ما يريد ما دام بعيدًا عنى ..

كان الشاطئ فى الناحية الشرقية مكتظًا بالأجساد فوق كل بقعة رمل ، فحمدت اللّه على عزلتى ، وابتعدت عن الزحام لأجد نفسى وحيدًا ثانية ..

لم يكن القارب هناك ، ووجدت رغبة عارمة فى أن أختلس نظرة إلى شاليه المستر (ستول) ..

تسللت إلى هناك ، واختلست نظرة عبر خصاصى النافذة .. لم أجد ما يلفت النظر سوى مجموعة زجاجات ، وزوجًا من أحذية الغوص التى تشبه أقدام الضفادع ..

بالطبع ما كان مستر (ستول) ليستطيع بحالته الصحية هذه أن يغطس .. ولا بد أنه أرسل تابعه اليونانى ليغوص بحثًا عن (أبو جلمبو) وتذكرت أنبوب التهوية الخارج من الماء ..

سمعت شخصًا قادمًا فابتعدت ، لأنى لم أرد أن يجدنى أحد وأنا أتلصص .. فقط نظرت لرقم الشاليه فوجدته (38) ..

لم يكن للرقم ساعتها معنى بالنسبة لى .. لكنى حين عدت للشاليه بحثت عن دبوس لرباط العنق ، فوجدت البطاقة .. إن الرقم عليها هو (38) ..

مصادفة طبعًا .. ولكن (ليس بعد منتصف الليل) .. هذا هو الإنذار الذى وجهه لى (ستول) .. أتراه أنذر (جوردون) أيضًا ؟ ولماذا يكتب الأخير النصيحة ورقم شاليه قائلها على بطاقته ؟ لكن (جوردون) البائس تجاهل النصيحة طبعًا ..

وضعت البطاقة فى حافظتى .. لربما كان من واجبى إعطاؤها لموظف الاستقبال علّها تلقى بعض الضوء على ما أصابه ، لكنى تجاهلت الفكرة .. المشكلة أن هذا يورطنى فى قضية تم إغلاقها منذ زمن ..

كنت أرى - إذ جلست فى غرفة الطعام - آل (ستول) إلى يمينى ، وذلك دون أن أدير رأسى ..

كان محتقنًا كقطعة سجق يلتهم العشاء ، بينما الزوجة صامتة شاردة ، تداعب الطعام بشوكتها ..

دنوت من الساقى فتبادلنا المجاملات التقليدية ، ثم سألته :

- « مَنْ مِن نزلاء الفندق يهوى الغوص فى الأعماق ؟ »

بدا الساقى مندهشًا :

ـ « لا أحد قدَر ما أعلم يا سيدى .. ليس بعد الحادث .. كان المسكين مستر (جوردون) يهوى الغطس تحت الماء ليلاً ، وكان من القلائل الذين يمكن أن يتحدثوا مع مستر (ستول) .. وقد كانت لهما مجادلة طويلة ذات ليلة فى هذا البار .. »

ـ « حقًا ؟ »

ـ « ليست مجادلة عن السباحة ، بل كانوا يتكلمون عن الآثار .. إن هناك متحفًا جيدًا فى قريتنا ، لكنه مغلق حاليًا للإصلاحات .. كان مستر (جوردون) ذا علاقة بالمتحف البريطانى .. »

ـ « ما كنت لأحسب هذا يثير اهتمام صديقنا (ستول) .. »

قال الساقى :

ـ « ستُدهش لهذا .. إن مستر (ستول) ليس أحمق ، وفى العام الماضى كان هو وزوجته يزوران كل الأماكن المهمة فى (كنوسوس) و (ماليا) ، وأماكن أخرى غير شهيرة .. لكن الأمر اختلف هذا العام .. صيد السمك كل يوم .. »

ـ « ومستر (جوردون) ؟ أكان يصيد السمك بدوره ؟ »

- « لا يا سيدى .. ليس على قدر علمى .. لقد استكشف الجزيرة والمنطقة كلها بسيارة استأجرها مثلك .. لقد قال إنه يكتب كتابًا عن الآثار الموجودة شرقى (كريت) ، وعلاقتها بالـ (ميثولوجيا) اليونانية .. »

- « ميثولوجيا ؟ »

- « نعم .. قال هذا وإن كان فهم هذا أقوى منى .. دارت المناقشة ، لكنى لم أسمع الكثير منها ، فقد كان البار مزدحمًا .. وكان مستر (جوردون) مهذبًا جدًّا على طريقتك إذا سمحت لى ، ويبدو مهتمًّا بالموضوع ، وما كان الإغريق يفعلونه فى عباداتهم .. »

هنا تذكَّرت البطاقة فى جيبى .. هل أعطيها لموظف الاستقبال ؟

ودعت الساقى وغادرت القاعة ..

كان آل (ستول) يمشون أمامى ، فتلكأت قليلاً حتى يبتعدا .. وقفت أمام حامل عليه بطاقات كى أجد عذرًا لتأخرى ، ورأيت مسز (ستول) تتناول معطفها من على شماعة فى المدخل ، ثم إن الاثنين خرجا من الباب

متجهين لموقف السيارات .. كيف يقود (ستول) سيارته بحالته هذه ؟

حافز ما كالذى يدفع صبيًا للعب دور المخبر ، جعلنى أتجه إلى سيارتى ، وحين ابتعدت سيارة (ستول) - (مرسيدس) - تابعته فى رحلته ..

كان هناك طريق واحد يتجه شرقًا نحو القرية .. لم ألحق به برغمى ، وفى النهاية وصلت لمرفأ صغير .. وأخبرتنى غريزتى أن أتوقف أمام مقهى محلى هناك .. كان هناك سياح كثيرون حولى ، وبعض السكان المحليين .. فقلت لنفسى : ليكن .. سأجلس هنا وأشرب بعض الليمونادة ، وأستمتع بمراقبة المنظر والزحام ..

ولابد أننى جلست هناك حوالى نصف ساعة ، أرمق الأسر اليونانية التى تستنشق الهواء النقى ، والحسان اللائى ينظرن من طرف إلى الشباب ، وقسًا أرثوذكسيًا يجلس إلى منضدة مع بعض الشيوخ ، ومجموعة من شباب الهيبز من بلدى أطول شعرًا من أى شخص آخر وأكثر قذارة ، لا يكفون عن إحداث الضوضاء ، وحين أداروا المذياع وجلسوا على الأرض ؛ عرفت أن وقت الانصراف قد حان ..

دفعت ثمن الليمونادة وخرجت إلى سيارتى .. هنا وقعت عيناى على بقعة ماء داخل البرّ ، حيث بدا أن طريقًا جانبيًا ينتهى نهايةً مسدودةً .. لابد أن هذا ما يسميه دليل السياحة بـ (البركة التى لا قاع لها) والتى يلتقط لها السياح صورًا كثيرة فى الموسم .. كانت بحيرة كبيرة ، تطفو القاذورات من فوق مائها .. ولم أستطع أن أجد من يمارسون الغطس فيها نهارًا ..

عندئذ رأيت (المرسيدس) .. كانت واقفة أمام المقهى ضعيف الإضاءة ، ولم يكن من شك فى الشكل المنحنى على المنضدة والزجاجات أمامه ، والمرأة الجالسة بجواره .. لكن لدهشتى - بل لاشمئزازى - لم يكن يشرب وحده ، بل مع مجموعة من الصيادين خشنى الصوت على المنضدة المجاورة ..

ملأ الضحك الجو .. كانوا يسخرون منه كما هو واضح .. لقد ذابت الرقة اليونانية فى أكوابهم ، وبعضهم راح يغنى بصوت عال ..

مدّ يده وطوّح بالزجاجات الفارغة إلى الرصيف ، فهللوا وصعقوا مع صوت الزجاج المهشم .. وتوقعت أن يصل البوليس فى أية لحظة ؛ ليوقف الحفل ..

لم أبال بما يحدث لـ (ستول) .. إن ليلة فى السجن ربما تناسبه ، لكن هذا شنيع لزوجته .. الأمر لا يهمنى على كل حال ..

هنا وقف الرجل مترنحًا ، ولوَّح بالزجاجة نصف المليئة فوق رأسه ، وبدقة شديدة قذف بها من فوق رأسى ، نحو البحر.. لا بد أنه تفادانى بقدمين فقط .. كان هذا أكثر من اللازم ، لذا نهضت نحوه والغضب يعمينى .. وصحت فيه :

ـ « أية لعبة تلعبها بحق السماء ؟ »

وقف أمامى وتأرجح على قدميه .. كفَّ الضحك إذ راقب الجالسون المشهد فى اهتمام ، وتوقعت طوفانًا من السباب .. لكنه جعَّد وجهه المحتقن إلى ضحكة ، وقال :

ـ « هل تعرف شيئًا ؟ لو لم تقف فى طريقى لوصلت هذه الزجاجة إلى منتصف البحيرة .. أنا لست (كريتيًا) .. وهم أيضًا ليسوا (كريتيين) بل مجرَّد أتراك .. ولا يوجد (كريتى) نقى الدم فى (كريت) كلها .. »

حاولت أن أنزع ذراعى من قبضته ، لكنه تمسك بها كصديق وجد - أو ظن أنه وجد - صديقه القديم ، وهى عادة السكارى ..

وصدر منه فواق ، وقال :

- « أنت من الفندق .. أليس كذلك ؟ لا تنكر يا فتى فأنا لا أنسى الوجوه .. أنت الشخص الذى يرسم فى الشاليه الكريه طيلة اليوم .. حسن .. أنا أحترمك لهذا ، فأنا أعرف عن الفن قليلاً .. ولربما ابتعت لوحتك هذه .. »

كان تودده كريهًا ، ورقته لا تحتمل .. فقلت فى جفاء :

- « آسف .. هى ليست للبيع .. »

صاح معترضًا :

- « أوه هلم ! أنتم معشر الفنانين تتشابهون .. تتدللون حتى يقدم لكم أحد ثمنًا باهظًا .. خذ (تشارلى جوردون) على سبيل المثال .. أنت لا تعرفه .. أليس كذلك ؟ »

- « نعم .. كان قبل مجيئى .. »

ـ « هـذا حق .. إن البائس ميت .. غـرق تحت الصخور أو وجدوه هناك .. »

وكانت عيناه فعليًا مغلقتين فى وجهه المنتفخ ، لكنى عرفت أنه يراقبنى ..

قلت :

ـ « أفهم أنه لم يكن فنانًا .. »

كرّر الكلمة بعدى ، ثم انفجر فى الضحك :

ـ « فنانًا ؟ لا لم يكن .. كان خبير فنون ، لكن هذا لم يفده كثيرًا .. ألا ترى ذلك ؟ »

كان يبذل مجهودًا للتماسك ، ثم مدّ يده فى جيبه بحثًا عن علبة تبغه ، وأشعل واحدة لنفسه ، ثم عرض علىّ واحدة فقلت :

ـ « لا أدخن » ـ ثم بتحدٍ أضفت ـ « ولا أشرب كذلك »

أجاب فى دهشة :

ـ « ولا أنا .. إن الشراب الذى يقدمونه هنا هو نوع من البول .. »

وجذبنى وقد بدا عليه التآمر إلى جانب ، وقال وهو يشير إلى الجالسين :

ـ « هؤلاء أتراك .. ومنذ زمن طويل ، حوالى خمسة آلاف عام ، لم يصنعوا الصنف المناسب .. كانوا يعرفون طريقة صنعه آنذاك .. »

تساءلت :

ـ « أحقًا ؟ »

اتسعت عيناه الضيقتان ، ولاحظت أنهما جاحظتان بارزتان وبخشونة همس :

ـ « أتعلم ؟ إن الباحثين فهموا كل شيء خطأ .. لقد كان (الكريتيون) يشربون مزيجًا مختمرًا من نباتىّ (السبروس) و (اللبلاب الكبير) .. »

وثبت ذراعًا على الجدار مستندًا ، وانحنى إلى الأمام وتقيأ فى البركة ، حتى شعرت بالغثيان أنا نفسى ..

قال :

ـ « هذا أفضل .. يخلصنى من السمّ .. أقول لك : سنعود إلى الفندق ، ونمضى الليلة فى الشاليه الخاص بى .. إننى ملت إليك يا سيد (ما اسمك) .. إن أفكارك جيدة .. أنت ترسم صورًا ولا تدخن .. فما عملك ؟ »

كان مستحيلاً التخلص منه .. ووجدته يشدنى إلى

الطريق ، ولحسن الحظ كان الموجودون بالمقهى قد تفرقوا ؛ إذ يئسوا من أن يضرب أحدنا الآخر .. وكانت مسز (ستول) فى السيارة المرسيدس الآن جالسة فى المقعد الأمامى ..

قال لى :

- « لا تهتم بها .. إنها صماء كالحجر .. ولدينا مكان فى المقعد الخلفى .. »

قلت :

- « آسف .. لكن سيارتى هاهنا .. »

- « كما تريد .. ولكن قل لى يا سيد (فنان) ما عملك ؟ هل أنت أكاديمى ؟ »

كان بوسعى تركه الآن ، لكن بعض الفخر الأحمق جعلنى أخبره بالحقيقة ، آملاً أن يدعنى وشأنى ..

قلت :

- « أنا معلم فى مدرسة ابتدائية للأولاد .. »

- « انفتح فمه الرطب ضاحكًا ، وصاح :

- « رباه ! هذا جميل .. مدرس .. مربية للرضع والأطفال .. أنت واحد منا يا فتى .. وبرغم هذا تملك الشجاعة لتقول إنك لم تجرب (اللبلاب) والـ (سبروس) قط ؟ »

كان مجنونًا بالطبع ، لكن هذا المرح جعله يحرر ذراعى ، وتقدمنى إلى سيارته ، وهو يهزّ رأسه من جانب لجانب ، وقدماه تحملان جسده الثقيل بطريقة راقصة غريبة .. واحد اثنين .. كحصان أخرق ..

راقبته يركب السيارة إلى جوار زوجته ، ثم ابتعدتُ لأكون فى الأمان ، لكنه انطلق بها بسرعة رهيبة ، واصطدم بى قبل أن أصل لركن الشارع ، وأخرج رأسه من النافذة صائحًا :

ـ « تعال زرنا يا مستر (مدرس) .. فلسوف تجد الترحيب دومًا .. قولى له يا (مود) ألا ترين أن الفتى خجول ؟ »

وترددت صيحته فى المكان ، حتى توقف المارة ليروا ما هناك .. ورأيت الوجه الصلب الجامد للزوجة يرمقنى .. كأنها لا ترى شيئًا ، وكأن ركوب سيارة مندفعة ليلاً فى قرية غريبة جوار زوج مجنون ، هو أكثر الأشياء طبيعية فى العالم ..

ـ « مساء الخير .. زرنا يا مستر (تيوتور) فى شاليه (38) ، ولكن ليس بعد منتصف الليل .. »

قالتها بصوت بلا تعبير ، فلوّح (ستول) بذراعه ،

وانطلقت السيارة تنهب الكيلومترات الباقية على الفندق ..

* * *

ليس صحيحًا أن المقابلة أفسدت إجازتى ، وجعلتنى راغبًا فى الرحيل .. إنها نصف الحقيقة ؛ لأننى كنت غاضبًا مشمئزًا لكن من آل (ستول) فقط ..

نهضت منتعشًا إلى يوم مشرق ، بعد نوم مريح .. وقد أزمعت أن أتحاشى (ستول) وامرأته متوسطة الذكاء .. لقد خرجا فى القارب مبكرًا ، وقد اعتدت أن أتناول عشائى مبكرًا كى لا ألقاهما فى قاعة الطعام .. كما أنهما لم يكونا من هواة التَجوال ، لهذا كان عسيرًا أن أقابلهما فى الفندق ..

وحين كانا يعودان ليلاً وأنا فى الشرفة ، كنت أرى المنظار المقرب فى يده يتجه نحو شرفتى .. عندها كنت أتوارى ..

هكذا بشىء من الحظ يمكن أن ينسى وجودى ، وإن كنت لا آمل فى هذا ..

لقد جئت لأرسم وأسترخى ، وقد صممت على فعل هذا ..

حين دخلت الشرفة لأتناول الإفطار ، كان القارب عند الشاليه الخاص بآل (ستول) قد رحل .. وقررت أن أستكشف الساحل حاملاً لوحة الرسم .. حتى إذا ما امتصتنى هوايتى نسيت كل شيء عن هذا الرجل ..

يمكننى الآن تخيل ما حدث لـ (جوردون) المسكين .. لقد انجذب البائس إلى (ستول) فى البار ، وكل الهراء الذى يقوله عن (كريت) والـ (ميثولوجيا) اليونانية ، ولم يتصور (جوردون) إلام سيقوده هذا ..

تلقى دعوة إلى الشاليه رقم (38) فقبلها ، ولابد أنه سبح عبر الخليج ليصل هناك .. لابد أنه كان يستعرض بطولته .. وفى الشاليه شرب ذلك الخليط الشيطانى المختمر الذى صنعه المضيف ، مما جعله يفقد كل وعى وحكمة ..

وحين قرر أن يعود سباحة ، كان لابد لما حدث أن يحدث .. فقط تمنيت أن يكون قد غرق فوراً دون ألم ..

إن الكتابة على البطاقة تتفق مع القصة .. تعال لرقم (38) ليس بعد منتصف الليل .. لكن الوقت قد حان كى أنسى هذا وأركز على ما أمامى ..

كان استكشافى للساحل الغربى أكثر نجاحًا ممّا ظننت .. لقد ابتعدت عن الفندق نازلاً من المرتفعات إلى مستوى البحر ، والأرض تنحدر نحو مستنقع جاف خبزته الشمس .. لكنى حين دنوت أكثر وجدت أنه ليس مستنقعًا بل مسطحات من الملح ، تحيط بها جدران شكّلتها السدود ، لتسمح لماء البحر بالجريان تاركًا الملح وراءه .. ومن بعيد طواحين هوائية مهدمة ، ثم انتهت مسطحات الملح وارتفعت الأرض لتقود المضيق (سبينالونجا) ..

مشيت بـ (الفولكس فاجن) حتى وصلت إلى المسطحات ، وكان المكان مهجورًا تمامًا .. قرّرت أنه سيكون مكانى المفضل فى الأيام القادمة ..

وضعت أدوات الرسم وقبعتى على رأسى ، واندمجت فى المشهد أمامى ، وقضيت أهم ثلاثة أيام فى رحلتى.. كان السلام شاملاً والوحدة مطلقة ، ولم أر مخلوقًا واحدًا .. كنت ألتهم الشطائر والليمونادة وأرسم ، ثم حين تزداد الحرارة ؛ آوى إلى ظلّ طاحونة ، وفى المساء أعود للفندق لأتناول عشائى ، وأقرأ ثم أنام .. ما كان لناسك أن يتمنى عزلة أكثر من هذه ..

فى ذلك اليوم قررت أن أستكشف شبه الجزيرة ، آملاً فى العثور على مشهد جديد أفضل .. تسلقت التلّ وأنا أحرك قبعتى ؛ لأن الطقس كان حارًا للغاية ، وأثار دهشتى أن أجد أن شبه الجزيرة مجرّد لسان وسط البحر..

ربما استطاع رسام عبقرى ، أن يرسم هذا المشهد على القماش .. (التركواز) يذوب فى بحر (إيجه) الأزرق ، بينما ظلال نبيذية تحتها .. هذا بوسع رسام عبقرى ، لكن ليس هاويًا مثلى ..

نزلت لأسفل نحو مجموعة نباتات ظليلة ، حيث أستطيع الاستراحة قليلاً ، وهنا رأيت القارب ..

كان راسيًا قرب مدخل الخليج .. لقد كان قارب آل (ستول) .. واليونانى الذى يعمل معهما يجلس إلى المجدافين ، وقد مدّ خيطًا يصطاد به إلى الجانب ..

كان الوحيد فى القارب ، ورأيت على رمال الشاطئ بناية من الحجر مهدمة .. ربما كانت يومًا ما حظيرة للخراف .. لابد أن آل (ستول) أوقفوا قاربهم هنا ، ودخلوا تلك البناية ربما كان (ستول) يصنع مخلوطه المتخمر من اللبلاب والـ (سبروس) هنا ، ولربما أضاف إليه بعض فضلات الماعز على سبيل تجويد المذاق ..

فجـأة نهض النـوتى واتجـه للدفـة وراح يرمـق المـاء ..

رأيت شيئًا يتحرّك ثم يخرج من تحت المـاء .. نظارة غوص .. ثيـاب غوص مطاطية .. زعانف .. ورأيت اليونانى يساعد الغواص على انتزاع قناعه .. ثم استرعى نظـرى شىء يقف عند فتحـة المبنـى المهجور ..

أقول : شىء بسبب ألاعيب الضوء التى جعلتـه يبدو مشعرًا ، كأنه مُهر يقف على قدميه الخلفيتين .. كله مغطى بالشعر ، ثم أدركت أنه (ستول) نفسه .. وصدره وذراعاه مغطاة بالشعر .. فقط وجهه جعلنـى أدرك أنه مازال إنسانًا ..

مشى إلى حيث القارب يتـأود فـى مشيته بتلـك الطريقة العجيبة التى رأيتها فى المقهى أمس .. يداه فى خصره وصدره للأمام ، ومؤخرته بارزة للوراء ..

ورأيت الغواص يتجه للشـاطئ الآن ، وقـد تخلص من نظارتـه وأسطوانة الأكسجين ، وألقـى بزعانفـه على الرمال كسمك عملاق .. وبرغم القنـاع المطـاطى أدركت فى دهشة أنه مسز (ستول) ..

تقدَمت نحو زوجها ، وناولته حقيبةً جلديةً صغيرةً ، فأخذها وعاد إلى المبنى المهجور ..

جلست أنتظر .. سأعطيهما عشرين دقيقةً ثم أعود .. لكنهما لم يتركانى كل هذا الوقت .. سمعت صيحةً ، ثم رأيت الزوجين يصعدان إلى القارب حاملين سلالاً وأدوات الغطس ، وبدأ اليونانى تشغيل المحرّك .. وسرعان ما اتجه القارب إلى البحر بعيدًا عن الخليج ..

كان فضولى قاهرًا ، فانزلقت فوق الرمال نحو المبنى المهدّم ..

كان كما توقعت حظيرة للماعز ، فالأرض ملأى بفضلاتها .. زجاجات فى كل مكان ورفوف خشبية تم تثبيتها .. وعلى كل رفّ كانت قطع من الخزف ، كأنما أخرجها أحدهم من كومة قمامة .. لكنها كانت نظيفةً لا يكسوها غبار ..

واضح أن هذه كنوز تم استكشافها تحت الماء .. لابد أن هذه القطع الخزفية عديمة النفع ، لذا لم تبال المرأة ولا زوجها بالتخلص منها ..

لست خبيرًا بهذه الأشياء ، لهذا لم أر ما يثير اهتمامى ، وتركت المكان ..

كانت هذه حركة مميتة .. لأننى إذ تسلقت المنحدر



وعلى كل رفٍّ كانت قطع من الخزف ، كأنما أخرجها أحدهم من كومة قمامة ..

سمعت صوت محرك ، وعاد القارب نحو المكان ..

كانت الثلاثة رءوس تنظر لى ، والشخص وراء الدفة يرمقنى بمنظار مقرّب .. لن يجد عسرًا فى معرفة المتسلل .. واصلت التسلق برغم هذا ، وقبعتى فوق حاجبىّ ، آملاً أن أدارى نفسى .. ربما حسبونى أى سائح تواجد هنا بالصدفة ..

منهكًا متقطع الأنفاس هرعت إلى سيارتى وأدرتها ، وتمنيت لو لم أستكشف هذا الموضع قط .. سيحسبون أننى كنت أتجسس عليهم وهذا حقيقى .. لقد فسد مزاجى فلن أستطيع الرسم اليوم ..

وكان حظى عاثرًا لأن إحدى عجلات السيارة فقدت هواءها ، فرحت أثبت (الاستبن) واحتاج هذا إلى أربعين دقيقة ، لأننى سيىء فى كل عمل يدوى ..

ووصلت للفندق بعد وصول آل (ستول) طبعًا .. وحين خرجت إلى الشرفة وجدت (ستول) فى شرفته يسلط نظارته المقرّبة إلى الشاليه الخاص بى .. أغلقت خصاص الشيش ، ودخلت لآخذ حمامًا حين دق جرس الهاتف ..

يداى مبتلتان والمنشفة حول وسطى .. ما كان الهاتف ليدق فى وقت أسوأ .. جاء الصوت من الهاتف :

- « أهذا أنت يا سيد (مدرّس) ؟ »

كان صوتًا لا يمكن أن أخطئ فيه .. وبخشونة أجبت :

- « أنا (تيموثى جراى) .. »

- « (جراى) أو (بلاك)(*) .. كل شيء يتساوى .. أنت كنت فى (سبينالونج) عصر اليوم .. هل هذا صحيح ؟ »

- « لا أدرى سرّ اهتمامك .. »

- « اصمت .. لن تخدعنى .. أنت كالآخر .. مجرّد جاسوس .. ودعنى أقل لك : لقد تم تنظيف حطام السفينة منذ قرون .. »

- « أى حطام ؟ »

- « حسن حسن يا (مدرس) .. لن نختلف حول هذه النقطة .. إننا من نفس النوع على كل حال .. إن المدرسين وأساتذة الجامعة والمحاضرين كلهم يتشابهون تحت جلدهم وفوقه أحيانًا ! لا تخف .. لقد

(*) يقصد السخرية منه (جراى) معناها : (رمادى) .. و (بلاك) معناها : (أسود) .

قلت إننى أميل لك .. هل تريد شيئًا لمُتحف مدرستك ؟ شيئًا تريه لزملائك والطالبات الحسناوات ؟ حسن .. إن هذا الشىء لدىّ .. يمكنك المجىء الليلة وسأقدم لك هدية .. سيكون عندنا حفل بهيج ، فزوجتى تميل لك أيضًا .. »

انزلقت منشفتى إلى الأرض ، وشعرت لسبب ما أننى هشّ جدًّا .. كان صوته يخيفنى ، وقلت له :

ـ « مستر (ستول) .. أنا لا أجمع أشياء للمتاحف .. أنا هنا فى إجازة لمتعتى الخاصة .. وبحق لا أملك أيةَ نية لزيارتك .. »

ووضعت السماعةَ وعدت إلى الحمام .. يا له من رجل كريه !

هل يتركنى وحدى أم يظل يراقب شرفتى ، حتى إذا ذهبت إلى قاعةَ الطعام تبعنى إلى هناك ؟ يريد أن يبتاع صمتى لقاء هدية .. إن رحلاته للصيد ليست سوى غطاء يدارى به اكتشافاته تحت الماء ، ولا بد أنه وجد أشياء مهمةً يزمع تهريبها خارج (كريت) ..

لابد أنه فعلها فى العام السابق .. لكن الأمر لم يتمّ كما هو مفترض هذا العام .. إن (تشارلز جوردون)

الذى سبقنى فى هذا الشاليه ، قد ارتاب فى الأمر ..
(أنت مثل الآخر) .. لقد قالها (ستول) ..

لابد أن (جوردون) تلقى دعوة إلى الشاليه رقم (38) ، وهناك عُرضت عليه رشوة .. ترى هل رفض ؟ هل هدّد بإفشاء السر ؟ هل غرق فى حادث حقًا ، أم أن الزوجة تابعته تحت الماء وجذبته لأسفل ؟

كنت أعرف شيئًا واحدًا .. لا قوة فى العالم ترغمنى على الذهاب إلى شاليه (ستول) ، ولو حاول تهديدى سأحكى كل شىء لإدارة الفندق ..

ارتديت ثيابى للعشاء ، ووقفت أرمق الشاليه الخاص بـ (ستول) .. كان الضوء مرئيًا ، لكنه لم يكن هناك ..

اتجهت لحديقة الفندق ، وفجأة رأيت (ستول) وزوجته يجلسان كأنما يحرسان الطريق إلى حجرة الطعام ..

كان علىّ أن أمر بهما كى آكل .. ليكن ! يمكنكما البقاء هنا طيلة الليل .. عدت إلى الشرفة ، ودرت حول الفندق ومررت بالمطابخ ، حتى خرجت إلى موقف

السيارات .. سأتناول عشائى بالخارج ولتذهب النفقات إلى الجحيم ..

اتجهت بسيارتى إلى حافة بعيدة .. كنت جائعًا ، لكن كان علىّ أن أكتفى - بدلاً من وجبة الفندق الدسمة - بقرص عجة وبرتقالة وقدح قهوة ..

وبعد العشاء عدت إلى الفندق ، وشققت نفس الطريق إلى الشاليه ، الذى دخلته متسللاً كلصّ .. كان الضوء ما زال فى شرفة (ستول) وواضح أنه بالداخل الآن ..

خلعت ثيابى ورقدت فى الفراش أقرأ حتى ما بعد منتصف الليل .. داعب النعاس عينى فأطفأت الضوء ، واتجهت لأفتح الشيش لأجدد الهواء قليلاً ..

للحظة رحت أنظر عبر الخليج .. لم يكن ثمة ضوء فى المكان إلا من شرفة (ستول) .. ثم رأيته .. أعنى : رأيت أنبوب الهواء .. رأيته فى الضوء الشاحب ثم اختفى ، لكنى عرفت أنه متجه إلى الصخور تحت الشاليه الخاص بى ..

وساد الصمت .. لربما كانت تفعل هذا كل ليلة .. لربما كان هذا روتينها .. وأنا نائم لا أدرى بشىء

كانت هى فى المياه تحت صخور الشاليه .. فكرة غير مريحة .. تخيل أنها كل ليلة ـ بعد منتصف الليل ـ كانت ترتدى ثياب الغطس وتتجسس على الشاليه رقم (62) .. وفى هذه الليلة بالذات بعد مكالمتى مع زوجها ، كان وجودها قربى شيئًا مرجفًا ينذر بالخطر..

فجأة من الظلام على يمينى لمحت أنبوب التهوية أقرب لى ..

أصابنى الذعر ، فعدت لغرفتى وأغلقت الشيش ..

وقفت وظهرى للحائط بين غرفة النوم والحمام ، أصغى .. بدا لى أن دهرًا مضى قبل أن أسمع الصوت الذى توقعته وهبته ..

صوت حفيف فى شرفتى .. احتكاك يدين .. وتنفس ثقيل ..

وعرفت أنها هناك .. عرفت أنها تمسك بسقاطة الشيش ، والماء يتساقط من ردائها المطاطى .. وحتى لو صرخت : ماذا تريدين ؟ فلن تسمعنى .. فهى لا ترتدى جهاز السمع تحت الماء ..

بدأت تقرع على الشيش فلم أبد حراكًا ..

قرعت ثانية .. ثم دقت الجرس ..

اخترق الرنين الهواء كأنه مثقاب طبيب الأسنان فوق عصب .. ثلاث مرّات ثم ساد الصمت .. لا دق على الشيش ولا رنين ..

لابد أنها تنتظرنى فى الشرفةَ - والماء يسيل من ردائها المطاطى - حتى أفقد صبرى وأخرج لها ..

اتجهت إلى الفراش وأضأت المصباح ، متوقعًا أن أسمع الطرقات على الشيش فلم يحدث شىء .. نظرت إلى ساعتى فوجدت أنها الثانية عشرة ونصف .. جلست على فراشى وخوفى من هذا الشىء الأسود يتزايد لحظةً فلحظة .. وما زاد من هلعى هو أن صاحب الرداء الأسود كان أنثى ، وهو شىء غير منطقى ..

ماذا تريد منى ؟

مرّت ساعةً حتى استعدت صوابى .. لابد أنها رحلت .. نهضت إلى الشيش وأصخت السمع ، ثم برفق فتحت السقاطة .. لا أحد هناك ..

خرجت من الشرفةَ المظلمة ، ورأيت بركةَ الماء الصغيرةَ على الأرض دليلاً على الشىء الذى كان هنا منذ ساعة ، وآثار الأقدام التى عادت من الشرفة إلى الصخور ..

تنفست فى راحة .. الآن يمكن أن أنام فى سلام ..

عندها رأيتِ الشىء عند قدمىَ .. انحنيت والتقطته فوجدته عبوة صغيرة ملفوفة فى قماش عازل للماء .. عدت به إلى الفراش ورحت أتفحصه ، وغامرنى شك أحمق فى القنابل .. لكنى استبعدته .. فبالتأكيد تكفى رحلة تحت الماء لتعطيل أية قنبلة ..

تذكرت المثل القديم : (خذ حذرك حين يهديك اليونانى شيئًا) .. لكن آل (ستول) لم يكونا يونانيين .. وحتى لو وجدا (أطلنطس) نفسها ، فإن المفرقعات لم تكن قط جزءًا من كنوز القارة المختفية ..

فتحت اللفافة بمقص أظفار .. كان الشىء ملفوفًا بشبكة دقيقة ، وحين مزقتها وجدته دورقًا صغيرًا أحمر اللون ، له مقبضان على الجانبين .. لقد رأيت شيئًا كهذا من قبل ، وأعتقد أن اسمه الصحيح هو (رايتون) ، وكنت أراه فى المتاحف ..

أما جسم الدورق فكان منحوتًا بدقة على شكل رأس إنسان ، له عينان جاحظتان ، وشارب يتدلى إلى لحية صغيرة هى قاعدة الدورق .. وفى أعلاه

كانت أشكال لثلاثة رجال يتبخترون ، لهم نفس الوجوه التى رأيتها على الدورق للوجه الكبير .. لكن أقدامهم كانت حوافر ماعز ، وفى مؤخرة كل منهم ذيل حصان ..

نظرت لداخل الدورق فوجدت وريقة بالقاع .. كانت بطاقة كُتب عليها :

ـ « (سيلينيوس) : ساتير أرضى هو نصف حصان ونصف إنسان ..

لم يميز ما بين الحقيقة والزيف ، اتبع (ديونيسيوس) سيد السُكر وصار معلمه ونديمه فى الشراب »(*)

كان هذا كل شىء .. لا شىء أكثر .. أعدت الورقة إلى الدورق ، وأبعدت الدورق إلى آخر الغرفة ، وغطيته بسترتى كى لا أرى الوجه الساخر المزعج ، وعدت إلى الفراش ..

(*) الساتير : وحش يونانى خرافى يشبه الماعز التى تمشى على قدميها الخلفيتين ، ويُضرب به المثل فى الرجل الحيوانى الشهوانى ، أما (ديونسيوس) فهو : (باكوس) إله الخمر عند اليونان .

في الصباح سيكون عليّ أن أغلفه ، وأطلب من الساقي أن يأخذه ليعيده إلى الشاليه رقم (38) .. يستطيع (ستول) أن يحتفظ بهذا (الرايتون) - الذي لا يعلم سوى الله (سبحانه وتعالى) كم يساوي - فأنا لا أريد شيئًا منه ..

مرهقًا ، غرقت في النوم ، لكن - ربّاه - لم أنس شيئًا .. إن الأحلام التي زارتني والتي حاولت أن أصحو منها ، تنتمي لعالم مجهول آخر، اشتبك بعالمي بشكل مريع .. لقد بدأ الصف الدراسي ، لكن المدرسة التي كنت أعمل فيها كانت محاطة بالأدغال ، وفوق قمةَ جبل .. أما طلبتي فكانوا وجوهًا مألوفة يضعون غصون الغار في شعورهم .. ولم يكن الرجل وسطهم هو أنا ، بل كيانًا شيطانيًا خرج من الدورق ، يتبختر كما فعل (ستول) في (سبينالونجا) ..

صحوت بعد ما بدا لي قرونًا ، وضوء الشمس يغمر الشاليه ..

كان عقلي ينبض ، وشعرت بغثيان وإرهاق .. نظرت عبر الخليج ، فوجدت القارب في المرفأ .. إن آل (ستول) لم يذهبوا للصيد ..

أخذت الدورق ولففته بعناية ، وحين جاء الساقى بالإفطار إلى الشاليه ، سألته أن يسدى لى خدمة ..

ـ « أريد أن تذهب لشاليه مستر (ستول) .. أرى أنه لم يخرج للصيد اليوم .. »

ـ « هذا ليس مستغربًا .. لقد رحل آل (ستول) هذا الصباح .. »

ـ « أرى .. وهل تعرف متى يعودان ؟ »

ـ « لن يعودا يا سيدى .. لقد عادا لوطنهما .. إنهما منطلقان الآن فى الطريق إلى مطار (أثينا) ، والقارب الآن متاح لو أردت أن تستأجره .. »

وانصرف ، وظل الدورق فى مكانه جوار صحفة الإفطار ..

* * *

ازدادت الشمس شراسة فى غرفتى .. سيكون يومًا حارًا حقًا ..

لم أكن فى مزاج يسمح بالرسم ، وكنت مرهقًا بفعل أحلام الليل .. لقد رحل آل (ستول) لكنهم تركوا لى تركتهم .. كشفت الدورق من جديد وتفحصته ..

لم يكن تشابه الوجه المربع مع (ستول) وهمًا بل حقيقة .. ربما لهذا تخلص منه بإعطائه لى .. وبالتأكيد كان سيجد متاعب كثيرة ليمرّ به من الجمارك ، وعقوبة التهريب شنيعة الآن .. لكنى متأكد من أن له معارف هناك يسهلون له الخروج بكنوزه ..

تذكّرت مظهر (ستول) فى (سبينالونجا) حين خرج من البناية المهدمة .. بدا لى وقتها كنصف إنسان ونصف حصان .. كان شبيهًا بـ (سيلينيوس) نديم (ديونيسيوس) .. كان الدورق مفزعًا بحق ..

ترى هل فهم الرجل حيوانيته بعد فوات الأوان ؟ يقول السقاة هنا : إن (ستول) لم يكن بهذه البشاعة من قبل .. ترى هل هناك ما يربط بين تغيره وعثوره على هذا الدورق ؟ شىء واضح جدًا ..

يجب التخلص من هذا الشىء ولكن كيف ؟ لو سلمته للإدارة فلن يصدق أحد قصتى .. هل ألقيه فى البحر أو فى جزيرة ما ؟ إنه (رايتون) عمره قرون ، وثمنه لا يقدر بمال ..

لففته بحذر واتجهت إلى الفندق ..

طلبت من الساقى فى البار بعض الميـاه المعدنيـة ، فسألنى :

- « لا حملات استكشافية اليوم يا سيدى ؟ »

- « ليس بعد .. »

- « لدىّ شىء لك .. »

ومدّ يده لى بزجاجة صغيرة فيها ما بدا لى كليمون .. وقال لى :

- « تركها لك مستر (ستول) مع تحياته .. »

نظرت إليها فى شك ، فابتسم وقال :

- « يبدو أنها من الشراب الذى كان يصنعه لنفسه .. إنه غير مؤذٍ .. فقد جربت وزوجتى زجاجة منه .. مذاقه يذكرك بالليمون .. »

وصبّ لى قليلاً منه فى الميـاه المعدنيـة قبل أن أطلب .. غمست إصبعى وتذوقت قطـرة .. كان له مذاق ماء الشعير ، الذى كانت أمى تعده لى وأنا طفل .. له طعم سكرى خفيف ..

- « فى صحة مستر (ستول) .. »

وشربت الكوب .. على حين قال الساقى :

ـ « إن خير ما تفعله مسز (ستول) هـو أن تـأخذ زوجها إلى المستشفى .. إن زوجها مريض وليس ثملاً فقط .. »

ـ « ماذا تعنى ؟ »

ضرب على جبينه ، وقال :

ـ « شىء خطأ هنا .. أنت ترى بنفسك كيف يتصرف .. »

بدا مذاق الماء المعدنى أفضل لى الآن .. وسألته :

ـ « ما عمل (ستول) ؟ »

ـ « يقول إنه يدرّس الكلاسيات فى جامعة أمريكية ما .. لن نعرف أبدًا .. لقد دفعت مسز (ستول) كل الفواتير هنا ، وبدا واضحًا أنه يعتمد عليهما .. وإننى لأتساءل .. هذه المرأة تعانى كثيرًا من العذاب معه .. لقد رأيتها تنظر له أحيانًا ولم تكن نظرة حبّ قط .. »

طلبت مزيدًا من المياه المعدنية ، فالحرّ جعلنى أشعر بالظمأ ..

سألته :

ـ « هل هناك أماكن مجهولة فى الخليج ؟ »

ـ « لا أعتقد يا سيدى .. ربما كانت هناك .. لكننى لا أحسب هناك أماكن لا تعرفها الحكومة هنا .. »

ـ « وماذا عن حطام السفن ؟ السفن التى غرقت ورقدت فى قاع البحر .. »

هزّ كتفيه ، وبحذر قال :

ـ « هناك إشاعات .. قصص عبر السنين ، لكنها خرافات ولن أصدقها ، ولا أعرف واحدًا متعلمًا يصدقها .. »

ثم صمت قليلاً وراح يلمع كوبًا .. فسألته :

ـ « تكلم .. »

ـ « أحيانًا يجد البعض أشياء عظيمة القيمة ، يتم تهريبها خارج البلاد أو بيعها داخل البلاد للخبراء بثمن غال ، لو كان الأمر خطرًا .. إن لدىَّ ابن عمّ يعمل فى المتحف الوطنى ، ويملك المقهى عند (البركة التى لا قاع لها) .. كان (ستول) يذهب هناك كثيرًا .. اسمه (بابيتوس) ، والقارب الذى يستأجره مستر (ستول) يخص ابن عمى .. لكنك لست من هواة جمع التحف يا سيدى ، ولا تهتم بالآثار .. »

ـ « لا .. لا أهواها .. »

ونهضت ، وتمنيت له يومًا طيبًا ، وتساءلت لو كان يرى بروز الشىء فى جيبى ..

كان الفضول يدفعنى إلى رؤية شاليه (ستول) عن قرب .. دنوت منه فلم أر أثرًا للقاطنين السابقين ، ولن ينتهى اليوم قبل أن تسكنه أسرة إنجليزية ..

نظرت عند هذا الشاليه إلى الشاليه الخاص بى ، وهى المرة الأولى التى أراه فيها من هنا .. بدا لى أقرب مما ظننت ، ولا عجب فى أن حسبنى (ستول) متطفلاً أو جاسوسًا ، وربما شخصًا جاء من (إنجلترا) ليحقق فى مصرع (جوردون) ..

هل أرسل لى (ستول) الدورق على سبيل التحدى ، أم على سبيل الرشوة ، أم على سبيل اللعنة ؟

رأيت رجلاً يونانيًا عجوزًا أسمر ينظف جانب القارب ، الذى كان (ستول) يركبه .. تذكرت ابن عم ساقى البار ، واسمه (بابيتوس) .. سألت الرجل :

ـ « هل أنت صاحب القارب ؟ »

ـ « (نيكولاس بابيتوس) صاحب القارب هو أخى.. هل تريد استئجاره ؟ لا ريح وبحر هادئ .. »

ـ « لا أريد الصيد ، لكن لا بأس بجولة لمدة ساعة .. كم تكلف ؟ »

حسب الأمر بالدراخمة ، وقمت بإجراء الحسبة .. وجدت أنها لا تزيد عن جنيهين فى الساعة ،، وبالتأكيد يتضاعف المبلغ لو قصدت (سبينالونجا) .. فتحت حافظتى لأرى ما إذا كانت لدىّ عملات كافية ..

قال لى وأنا أعدّ المال وقد قرأ أفكارى :

- « إن التكلفة تذهب إلى فاتورة الفندق .. »

أنهى هذا ترددى .. سحقًا لهذا وليكن ما يكون ..

وهكذا استأجرت القارب لمدة ساعتين مع الرجل ، ورحت لأول مرة أرمق خط الشاليهات من البحر ..

قررت أن أتجه إلى الموضع الذى كان (ستول) فيه ، وحيث كانت زوجته معتادة الغطس ..

راحت المجاديف تضرب المياه ، بينما شبه جزيرة (سبينالونجا) تتبدّى أمامنا .. الحصى يلتمع على الشاطئ كالجواهر ، والأنسام تداعب أمواج الخليج ، بينما القارب يطوف ببطء .. وفكرت فى مسز (ستول) التى كانت تفرّ إلى الأعماق من زوجها ، وكان الكنز هو العذر .. لكنها - فى القاع - كانت تفرّ من حياة لا تطاق ..

ثم نظرت إلى التلال فرأيت شيئًا يلمع .. كان

شعاعًا من الشمس يلتمع على الزجاج ، والزجاج يتحرك .. ثمة من يراقبنى بمنظار مقرب .. نظرت بدقة فرأيت شخصين يبتعدان عن الحافة لكنى ميزتهما فى الحال ..

أحدهما كان مسز (ستول) ، والآخر هو تابعها اليونانى .. ونظرت إلى النوتى الجالس معى فوجدته لم يلحظ شيئًا ..

والآن فهمت .. لقد عادت مسز (ستول) مع اليونانى إلى البناية العتيقة لإخلائها من البقايا ، والآن انتهت مهمتهما ولسوف يعودان إلى المطار ليلحقا بطائرة (أثينا) .. وماذا عن (ستول) ؟ لا بد أنه نائم فى السيارة ينتظرهما ..

جعلتنى رؤية المرأة من جديد أفقد الحماس لحملتى ، وتمنيت لو لم أقم بهذه الجولة قط .. كنا الآن نسبح فى مياه ضحلة للغاية ، مياه رمادية اللون .. رحت أرمقها وقد غطيت عينى بيدى ..

فجأة رأيت الهلب الصدئ ، وقد تراكمت فوقه الطحالب وآثار القرون التى مرت حيث هو .. كان تحت الماء .. ومعه رأيت بقايا السفينة العملاقة

المهشمةَ منذ آن طويل .. كان (ستول) محقًا ، لقد تم تنظيف الحطام منذ قرون .. لا آنيةَ ولا عملةَ تلتمع ..

ترجرج الماء بفعل الأنسام ، ثم صفى ثانية .. فرأيت جسدًا بشريًا يفرد ذراعيه ، وقد ربطت ساقاه إلى الهلب الآخر .. وكانت حركة الماء تعطيه حياة خاصةً كأنما يقاتل من أجل الخلاص بلا جدوى .. فقد كانت ساقاه مثبتتين بإحكام ..

لسوف تمر أيام طويلة حتى يذوب اللحم ، تاركًا الشكل الخارجي فقط ..

كان الجسد جسد (ستول) .. وقد صار جذعه غير آدمي وهو يتأرجح إلى الأمام والخلف مع التيار ..

نظرت إلى التل مرّةً أخرى ، لكن الشبحين اختفيا منذ زمن .. وفي لمحة التمع تفسير ما حدث لي ..

لقد كان (ستول) هنا يتبختر كعادته ، وفجأة ضرباه ليفقد الوعي ، وجرّاه من قدميه إلى الماء ، وكانت زوجته هي التي أخذته تحت الماء لتثبت قدميه للأبد في الهلب .. تحتي ..

كنت الشاهد الوحيد على مصيره ، ولا تهم الأكاذيب التي ستحكيها حين تعود .. فلسوف ألزم

الصمت .. لم تكن تلك مسئوليتى .. لربما طاردنى الشعور بالذنب ، لكن ليس علىّ أن أتورط فى هذا ..

سمعت من يشهق جوارى ، ثم عرفت أنه أنا .. أشهق رعبًا وخوفًا ، وضربت الماء بالمجدافين عازمًا على الابتعاد ..

إذ فعلت هذا ، أخرجت الدورق من جيبى وبذعر طوّحت به فى الماء ..

لم يغرق حالاً بل ظل يتأرجح على الماء ، ثم ببطء امتلأ بالبحر الأخضر الشفاف ، ونظرت لىَ العينان فى الوجه المنتفخ ، لم تعودا عينىّ (سيلينيوس) الساتير بل هما عيناى أنا ، كما سأراهما يومًا ما فى مرآة ..

بدا أنهما تحويان فى أعماقهما كل الحكمة ، وكل القنوط .

* * *

دافنى دوموربيه

١٩٧١

مكتبة متكاملة
لأشهر الروايات العالمية

روايات عالمية للجيب

لاتنظرى الآن !

كساحر لايكف عن إبهارنا لحظة ، تأخذنا (دافنى دوموربيه) من قصة غريبة غامضة إلى قصة أغرب وأكثر غموضًا .. ساحرتان عجوزان تسيطران على زوجة أضناها الألم .. مهندس إلكترونيات شاب يتورط فى تجربة غامضة تتعلق بالموت والحياة .. مدرس يهوى الرسم لايختار لإقامته سوى الشاليه رقم (62) ، الذى يهابه الجم... ، لكن أحدًا لايتكلم عن سره المخيف ..

30

قرش جنيه
٢,٥٠

الثمن فى م...
ومايعادله بالدولار الأمريكى
فى سائر الدول العربية والعالم

العدد القادم
جزيرة الدكتور مورو

